

فنون الكتابة الإعلامية

فن المقالة

أصول نظرية - تطبيقات - نماذج

تأليف

أ.د. صالح أبو إصبع

د. محمد عبيدالله



فن المقالة

أصول نظرية وتطبيقات

صالح أبو أصبع   محمد عبيد الله

2008

فن المقالة :

أصول نظرية وتطبيقات

الفهرس

الباب الأول

فن المقالة : إطار نظري

الباب الأول

فن المقالة: إطار نظري

- تمهيد :
- نشأة المقالة وتطوّرها:
- من أصول المقالة عند العرب
- تطور المقالة الحديثة
- عناصر المقالة

1- عنصر اللغة.

2- عنصر الأفكار(المضمون).

3- عنصر الأسلوب

- بناء المقالة

5. العنوان.
6. المقدمة.
7. المناقشة (الجسم ـــ الجذع).
8. الخاتمة.

- خطة كتابة المقالة
- أنواع المقالة

3. المقالة الموضوعية المقالة العلمية أو المقالة الرسمية /المنهجية.
4. المقالة الذاتية.

- مصادر موضوعات المقالة
- مشاهير الكتاب
- هوامش الباب الأول

الباب الأول

فن المقالة: إطار نظري

تمهيد :

لعل المقالة أشهر الفنون النثرية في العصر الحديث، إذ نجدها في الصحف والمجلات والدوريات المختلفة، يلجأ إليها الكتاب للتعبير عن أفكارهم، وللتأثير في الرأي العام، كما يعتمد عليها الدارسون والطلاب في تقديم أوراق دروسهم وكثير من اختباراتهم.

ونقدم في هذا الباب دراسة نظرية لفن المقالة من حيث المفهوم والعناصر والخصائص لإضاءة هذا الفن الذي يشيع في حياتنا المعاصرة، وتقديمه للدارسين والمهتمين لينتفعوا به، ويطوّروا مقدرتهم على كتابة المقالة والإلمام بما تحتاج إليه من أصول وخصائص.

الأهداف:

يتوقع من القارئ والدارس بعد إتمام هذه الوحدة أن يكون قادراً على:

1. أن يحدد مفهوم المقالة.
2. أن يبين عناصر المقالة وأقسامها.
3. أن يميز بين أنواع المقالة.
4. أن يعرف أهم الخصائص الفنية للمقالة.

5.أن يعرف أشهر كتاب المقالة في الأدب العربي الحديث.

قراءات مساعدة:

1. د. محمد يوسف نجم: فن المقالة *ط 4، بيروت، دار الثقافة.

2. أحمد أمين: مقالة (كتابة المقالات) في: فيض الخاطر، ط 3، القـــاهرة ، مكتبـــة النهضـــة العربيـــة 1953.

3. زكي نجيب محمود: مقالة (أدب المقالة) في مقدمة: جنة العبيط،، ط 2، القاهرة ـــ بـــيروت، دار الشروق 1982.

4. د. علي جواد الطاهر: فصل (المقالة) في مقدمة في النقد الأدبي، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

مفهوم المقالة:

(1)

يبدو أن المقالة في معناها اللغوي مأخوذة من (القول) بمعنى الكلام، أو ما يتلفظ به اللسان، فالمعاجم العربية وضعت مادة (مقال) ضمن (قول) وجاء في لسان العرب(1):

"قال يقول قَوْلاً وقِيلاً وقَوْلَةً ومَقالاً ومقالة"

فهي مصدر ميمي للفعل (قال) مثلها مثل: قَوْل أو قِيل، كما نلاحظ أنها وردت بصـــيغة التذكير (مقال) وبصيغة التأنيث (مقالة) وهو ما نستخدمه الآن في وقتنا الحاضر مع تطور الدلالـــة. وذكر ابن منظور قول الحطيئة مخاطباً عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

تحنّن عليّ هداكَ المليكُ فإنّ لكل مقامٍ مقالا

أي أن كل موقفٍ أو حال يقتضي كلاماً ملائماً له، فالمقال ينبغي أن يتناسب مع الحـــال الذي يحيط به، ومع الظروف الملابسة له.

ووردت لفظة (مقالة) عند النابغة الجعدي (2)

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائلِ

(2)

ولا تسلمنا الإشارات السابقة إلى المدلول الذي نفهمه اليوم من هذا المصطلح، إذ تتوقـــف عند المنحى الشفوي، واليوم تبدو الكتابة شرطاً جوهرياً للمقالة، أمّا التلفظ بنص المقالة أو إلقاؤها فهو مرحلة لاحقة، وليست لازمة لتحقق هذا الفن.

وفي مراجع المقالة وأدبياتها تعريفات كثيرة ومتعددة، تدل جملة على ســـعة هـــذا الفـــن، وصعوبة وضع تعريف جامع مانع له، بسبب تنوّع أنماطها ومضامينها وأشكال كتابتها، فضلاً عن اختلاف أساليبها باختلاف الكتّاب وتنوع مشاربهم ومناحي ثقافتهم، إضافة إلى التطور السريع لهذا الفن من حقبة إلى حقبة أخرى.

وسنختار فيما يلي طائفة من هذه التعريفات الدالة (**3**):

* **تعريف الدكتور (جونسون):**

(نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، فهي قطعة لا تجري على نسق معلوم و لم يتم هضمها في نفس كاتبها).

***تعريف دائرة المعارف البريطانية:**

(هي قطعة إنشائية ذات طول معتدل، تكتب نثراً، وتلمّ بالمظاهر الخارجيـــة للموضـــوع بطريقة سهلة سريعة، ولا تفي إلا بالناحية التي تمسّ الكاتب عن قرب).

***قاموس أكسفورد:**

(تأليف متوسط الطول حول موضوع خاص، أو فرع من موضوع أو قطعة غير منتظمـــة محدودة المدى).

***د. عبد اللطيف حمزة:**

(فكرة من الأفكار التي يتصيدها الكاتب الصحفي، أو يتلقفها من البيئة المحيطة به، ومـــتى انفعل الكاتب بفكرة ما أحس في نفسه حاجة ملحة إلى الكتابة. ولا يشترط فيها نظام معين).

*** أحمد الشايب:**

(تطلق المقالة في العصر الحديث على الموضوع المكتوب الذي يوضح رأياً خاصـــاً،وفكرة عامة، أو مسألة علمية أو اقتصادية أو اجتماعية يشرحها الكاتب ويؤيدها بالبراهين).

*** د. محمد يوسف نجم:**

(قطعة نثرية محدودة الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة، خالية من التكلـــف وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب).

ويمكن اقتراح التعريف التالي الذي يشتمل على كثير من المعاني التي أشارت إليها التعريفات السابقة:

المقالة:

نوع من الأنواع الأدبية النثرية، يدور حول فكرة واحدة، تناقش موضوعاً محدداً، أو تعبر عن وجهة نظر ما، أو تهدف إلى إقناع القراء بفكرة معينة، أو إثارة عاطفة عندهم. و يمتاز طولها بالاقتصاد، ولغتها بالسلاسة و الوضوح، وأسلوبها بالجاذبية و التشويق.

نشأة المقالة وتطوّرها:

تبدو جذور المقالة بعيدة في التاريخ، فشأنها شأن كثير من الفنون الأدبية التي بدأت مع الإنسان ومع استخدامه للغة المكتوبة ومحاولته الاعتماد عليها في تسجيل آثاره الوجدانية وتاريخه الروحي.

ومع أن كثيراً من الباحثين يعدّون المقالة فناً مستحدثاً ولد في العصر الحديث استجابة لجملة من المؤثرات والأحداث والظروف الجديدة، فإننا نميل إلى متابعة جذورها الأولى، ومنابعها القديمة في التاريخ الإنساني، مع الإقرار بخصوصية المقالة المعاصرة، وتطور عناصرها وأساليبها استجابة لروح العصر وطبيعته المختلفة.

أ- أصول المقالة في التراث العربي:

ربط كثير من الدارسين أصول المقالة بعدد من الفنون القديمة كالخطبة والمقامة والرسائل، ولكننا نرى أنّ ربطها بالخطبة أمر لا يصح، إذ أن المقالة فن مكتوب له شروطه الخاصة، والخطبة، فن قولي شفوي يشترط خطيباً ومستمعين وأسلوباً خاصاً يختلف اختلافاً بيّناً عن المقالة، وكذلك صلتها بالمقامة التي تقترب من القصة والفنون السردية، لكنها بعيدة عن طبيعة المقالة وبنائها.

أما صلتها بالتّرسل فتتّسع في الرسائل الأدبية التي برز فيها الجاحظ وابن المقفع، وكذلك في مقابسات أبي حيان التوحيدي وتبدو نصوص ابن عبدربه صاحب (العقد الفريد) في كثير من جوانبها قريبة الشبه بالمقالة، عندما يحصر كتابته في موضوع واحد، ويعبر عنه باقتصاد وسلاسة، وضمن رؤية ذاتية مجملة.

وكما يقول د. عبد اللطيف حمزة (4)" وبما كان من الخطأ أن ننظر إلى المقال الصحفي على أنه شيء جديد كل الجدة في تاريخ الأدب العربي، بينما هو شيء له مقدماته التي مهدت لظهوره".

ويرى د. حمزة أن طريقة (الرسائل الحرة) التي شاعت في البيئة العباسية، في موضوعات الدين والسياسة والاجتماع والأدب، تعدّ ـــ مع التجوز ـــ صحافة كاملة، واتخذ أمثلة من رسائل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والابشيهي، وغيرهم.

فهذه الرسائل قريبة الشبه بالمقال فكلاهما وليد الظروف السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية في مجتمع ما، ولذلك فالجاحظ ـــ وفق د. حمزة ـــ أعظم صحفي ممتاز، والأدب الجاحظي (صحافة كاملة لذلك العصر).

أما الاختلاف بين الرسائل الحرة وفن المقالة فيلخصه د. حمزة في:

أ- الطول: فالمقال الصحفي يمتاز بالقصر، ولا يبلغ في طوله ما بلغته الرسائل الأدبية.

ب- الزمن: فالمقال الصحفي أشد ارتباطا بالزمن وبوقت معين من الرسائل الأدبية.

ونرى أن كثيراً من الرسائل ترد قصيرة موجزة لا تجاوز في طولها ما ألفناه في فن المقالة، كما أن المقالات التي شاعت في مجلات عصرنا ليست قصيرة وإنما محدودة الطول، إذ تتعدد صفحاتها وتقترب من شكل الرسائل التي وجدناها عند الجاحظ وعند غيره من مؤسسي فن المقالة.

وكذلك عنصر الارتباط بالزمن، فقد ارتبطت الرسائل الحرة بزمنها وعبرت عن إطارها الحضاري والتاريخي، فكانت أقرب إلى الملاحظات النقدية على أحوال العصر وظروفه، ولذلك نرى

فيها سجلاً حضارياً لذلك العصر وتلك البيئة ، وقد قامت تلك الرسائل بالدور الذي نهضت بــه المقالة في العصر الحديث.

((وبوسعنا أن نجد صور المقالة في بعض رسائل الجاحظ وحكاياته وموضوعاته المختلفة التي تتعرض لبعض القضايا من مثل: تفضيل النطق على الصمت أو الحديث عن مزايا الكتاب وهكــذا، إذ تتوافر في كتاب"البخلاء" وفي رسائله بعض خصائص المقالة مثل : وحدة الموضــوع، وطرافــة الفكرة، وأسلوب التشويق، وسلاسة العرض، ويمكننا أن نتابع ذلك في كتابات البيهقي، والتنوخي وأبي حيان التوحيدي وغيرهم)) (5).

من أصول المقالة عند العرب

فضيلة الاستماع : لابن المقفع

1- تعلم حسْنَ الاستماع كما تتعلمُ حسنَ الكلامِ، ومِنْ حسْنِ الإستماع أمهال المــتكلم حتى يقضي حديثه، وقلة التلفْتِ إلى الجَواب والإقبال بالوجه والنظرِ إلى المُتكلم والوعيُ لما يقول:

واعلمْ أن المستشارَ ليسَ بكفيلٍ والرَأي ليْسَ بمَضْمونٍ بلْ الرأي كلّهُ غرر[1] لأن أمور الدنيا ليس شيءٌ منها بثقة.

ولأنه ليس شيءٌ من أمرِها يدركهُ الحازمُ إلا وقدْ يدركُه العاجز، بلْ ربما أعيا الحزمة مـــا أمكن العجزة، فإذا أشارَ عليكَ صاحبُك برأي فلم تجد عاقبته على ما كنْتَ تأمَلُ فلا تجْعَل ذلـــكَ

---

(1) الغرر: التعريض للهلاك.

عليْه لؤما وعذْلا [2] تقول: أنت فعلت هذا بي وأنت أمرتَني ولولا أنْتَ لمْ أفعَلْ ولا جَرمُ لا أطيعُك بعدها.

فإن هذا كله ضجرٌ ولؤمٌ وخفة، وإنْ كنتَ أنتَ المُشير فعمل برأيـــك أو تركـــه، فبـــدا صوابُك فلا تمنَّ ولا تكثرن ذكرَه، إنْ كانَ فيه نجاحٌ ولا تَلُمْه عليه إن كان استبانَ في ترْكه ضــــرراً بأن تقول: ألمْ أقلْ لكَ ألَمْ أفعَل... فإنّ هذا مُجانِبٌ لأدب الحُكماء.

2- أعلمْ فيمَا تكلمَ به صاحبُكَ أنّ مِمّا يُهجنّ[3] صواب ما تأتي به ويُذْهِبُ بهجتَه ويُزْري [4] بقبولِهِ عجلتك في ذلكَ قبْلَ أن يُفْضِيَ إليك بذات نفسِه، ومِنَ الأخلاقِ السيئةِ على كلّ حالٍ مغالبه الرجُلِ على كلامه والاعتراضُ فيه والقطعُ فيه.

ومن الأخلاق التي أنتَ جديرٌ بترْكِها إذا حدّثَ الرجلُ حديثاً نُعرفه ألا تسابقه إليه وتفتَحه عليْه وتشاركَه فيه، حتى كأنّكَ تُظهرُ للنّاسِ بأنك تريدُ أن يَعْلموا أنّك مِن مثْلِ الذي يعْلَـــمُ، ومـــا عَلْيك أن تُهنِئه بذلك وتفرده به وهذا البابُ من أبوابِ البخْل وأبوابُه الغامِضَةٌ كثيرةٌ.

(عبد الله بن المقفع: الآثار الكاملة ، تحقيق عمر الطباع ص 96).

[2] العذل: اللوم وعدم الرضى.
[3] يهجن : يقبّح ويعيب.
[4] يزري: أزرى بالأمر تهاون به، وأزراه عابه ووضع من قيمته وحقّه.

تطور المقالة الحديثة

أما المقالة الحديثة فقد نشأت في أوروبا، وانتقلت إلى العربية مع انتشار الصحافة في عصر النهضة الحديثة، ويرى د. شوقي ضيف أننا قد أخذنا المقالة عن الغربيين، " وقد أنشـــأها عنـــدهم ضرورات الحياة العصرية والصحفية، فهي لا تخاطب طبقة رفيعة في الأمة، وإنما تخاطـــب طبقـــات الأمة على اختلافها، وهي لذلك لا تتعمق في التفكير حتى تفهمها الطبقات الدنيا، وهي أيضـــاً لا تلتمس الزخرف اللفظي، حتى تكون قريبة من الشعب، وذوقه الذي لا يتكلف الزينة، والذي يؤثر البساطة والجمال الفطري، ومن أجل ذلك لم يكد أدباؤنا يكثرون من كتابتها بالصحف في أواسط القرن الماضي، (التاسع عشر) أوبعبارة أدق في ثلثه الأخير، حتى اضطروا إلى أن ينبـــذوا لفـــائف البديع وثياب السجع وبهارجه الزائفة (6).

وقد ظهر مصطلح المقالة Essay في القرن السادس عشر على يد (مـــونتين) montaigne وهو الذي أطلق على كتاباته مقالات essais وتعني تجارب أو محاولات ومن ثم فهي أحكام أولية بدلاً من أن تكون نهائية (7).

وعلى الرغم من اعتبار مونتين أباً للمقالة الحديثة، إلا أن الدارسين الغربيين أعادوا جذورها إلى كتابات الفيلسوف (ثيوفراستوس) (Theophrastus) الذي عاش بين (287-370 ق. م) وإلى الإنجيل وكتابات ماركوس أوليوس Marcus Aurelins

(180-120 ق.م) وهذا التأصيل يسوغ إعادة جذور المقالة العربية إلى الرسائل الأدبية الحرة كما مر سابقاً، خصوصاً مع ملاحظة ما يسم تلك الرسائل من خصائص وسمات خاصة بالمقالة.

وقد نشر مونتين الفرنسي مجلدين بعنوان: المقالات Essaisعام 1580 ونقلا إلى الإنجليزية عام 1603، وبعد ذلك نشر فرانسيس بيكون مجموعته الأولى من المقالات عام 1597 وراجعها ووسعها فيما بعد.

وقد ذاع مصطلح المقالة في الأدب الغربي، وانتشر أسلوب كتابتها وتطور شكلها ومضمونها، مع ظهور الصحف والمجلات في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

ويرى دومينيك سبيس – فور D. Spiess - Faure أن وجود قاسم مشترك بين ما نسميه (مقالات) يجب الرجوع فيه إلى خصائص كتابات مونتين وما فيها من غنى اللغة ودقة الأسلوب وكثافة التفكير والتعبير السهل، وكذلك استخدام الحكم والأمثال السائدة، وبالرجوع إلى كتابات بيكون وما فيها من أحكام مستوحاه من القدماء وظلت المقالة وسيلة للتحليل أو البرهنة، ، أوناقلاً للنقد، أو سلاحاً للمعركة(9).

وقد لخّص الدكتور محمد يوسف نجم سمات المقالة عند مونتين، " فقد امتازت بتألق العنصر الشخصي، واتّسم أسلوبها بالحرية والتدفق والتشعب، والسير على غير أصول مرعية، أو قواعد معينة، ولم تخل هذه المقالات من الأمثال والحكم السائرة . إلا أنها تأتي عرضاً دون قصد، أو تعمّد، وكانت تقف على هامش العمل الأدبي، عنصراً ثانوياً... وقد كان دأبه أن يمعن في الحديث

عن نفسه، وعن ذكريات صباه وشبابه، وعن الأحداث الطريفة المعجبة التي مر بها في طور الرجولة والاكتهال، وكان لا يتورع عن كشف عيوبه للناس، وعرض صور من شذوذه." (10).

وأما فرانسيس بيكون فقد اختلف أسلوبه عن مونتين، وقدأشار إلى ذلك العقاد فيما كتبه عن فرانسيس بيكون " فمونتين فياض مسترسل كثير الأغراض متعدد الملامح الشخصية، قريب في أسلوبه إلى أساليب المقاليين المحدثين، ولكن بيكون كان أقرب إلى الاحتجاج والتركيز ودسومة المادة الفكرية، واجتناب الألوان الشخصية والملامح الخاصة التي تنم عليه، وعلى الجانب الإنساني فيه" (11).

وقد تطورت المقالة من بعد تطوراً واسعاً بتعدد مضامينها وأفكارها، وما استدعته المضامين الجديدة والتوسع فيها من أشكال فنية وأساليب تعبيرية تجاوزت خطواتها الأولى في القرن السادس عشر. وقد ظل تطورها مرتبطاً بالصحافة والمجلات التي احتضنت هذا الفن وظلت تمده دائماً بما هو جديد.

- **ازدهار المقالة العربية في العصر الحديث**

تطور فن المقالة تطوراً واسعاً في العصر الحديث، حتى ألفينا المقالة في كل مطبوعة أو صحيفة، ويمكن تلخيص عوامل ازدهار المقالة العربية فيما يلي (12).

أ- **انتشار الصحافة وازدهارها:** وقد اعتمدت الصحافة على فن المقالة أكثر من سواه، وتوسعت المقالة الصحفية، وأخذت أشكالاً وألواناً عديدة، وقد نشأت المجلات القادرة على استيعاب المقالة الذاتية والموضوعية مع اختلاف مضامينها.

ب- **الإحساس بضرورة التغيير** مع ــ قدوم عصر النهضة ــ وما نتج عنه من غليــان المشــكلات السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية.

ج- **التأثر بالمذاهب والاتجاهات والأفكار القادمة من الغرب.**

د- **ظهور الأحزاب السياسية والتيارات الفكرية:** وقد لجأت هذه التيارات إلى فن المقالة في بياناها وكتاباها للدفاع عن آرائها والتعريف بها أمام الرأي العام الذي تتنافس على التأثير فيه وإقناعه أو اجتذابه.

حركة تأسيس المدارس والكليات ونفوذ التأثير الأوروبي في سواحل الشام.

ومعروف أن الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 استحضرت معها المطبعة التي عرفها العرب لأول مرة، ومن ثم صدرت الصحف، ثم كان عهد محمد علي الذي ابتعث النابهين إلى أوروبا واســتقدم الاساتذة الأجانب، وعمق الاتصال بالغرب (13)، وكل ذلك كان له أثره في التقدم في مجال الصــحافة والكتابة الحديثة والترجمة، لكنّ الأمر لم يتم في هيئة نقل أعمى أو نسخ حرفي، طوّرت هذه الأســاليب لتناسب البيئة العربية، بعدما اختلطت بها وتواصلك معها، مما يحقق شروط البيئة الخاصة، ويحافظ علــى عناصر الخصوصية في الهوية العربية.

ويرى د. عبد الكريم الأشتر أن " تطور الصحافة أعان على تطوير المقالــة الحديثــة، وتثبيــت خصائصها، بحيث انتهت إلى أن تكون قطعة نثرية قصيرة أو متوسطة، موحدة الفكرة، في معالجة بعــض القضايا الخاصة أو العامة، معالجة سريعة تستوفي انطباعاً ذاتياً أو رأياً خاصاً ، ويبرز فيها العنصر الــذاتي بروزاً غالباً ، وتتحرر من المواضعات العامة، وتميل إلى البساطة والعفوية في التعبير، فتكون مقالة ذاتية، أو

تميل إلى الجد واستيفاء البحث في إحدى القضايا العلمية أو الاجتماعية أو السياسية أو الأدبية أو النقدية، فتكون مقالة موضوعية، يحكمها منطق البحث ومنهجه الذي يقوم على بناء الحقائق علـــى مقـــدماها، ويخلص إلى نتائجها" (14).

• عناصر المقالة

المقالة فن كتابي نثري تتكون من مجموعة من العناصر التي تشكّل أساس أي فن أدبي، لكنها تختلف عن غيرها في كيفية التعامل مع تلك العناصر وتوظيفها، وهذه العناصر الإساسية هي:

1- عنصر اللغة.

2- عنصر الأفكار(المضمون).

3- عنصر الأسلوب.

وتتباين طرائق الكُتّاب في استخدام هذه العناصر، بناءً على ثلاثة عوامل:

أولا: خصوصية تكوين الكاتب الفني والفكري:

ويعتمد ذلك على موهبته وتجربته وثقافته العامة والمتخصصة، وثروته اللغوية، وروحه العامة وفلسفته في الحياة. فكلما اتسعت ثقافة الكاتب، وزاد تعمقه في موضوع اختصاصه استطاع أن يكتب مقالات أكثر تأثيراً وأشدّ اقناعاً للمتلقين.

وكلما زادت تجربة الكاتب، استطاع أن يكتب مقالات أكثر اتصالاً بهموم القراء واهتماماتهم، وكلما زادت ثروته اللغوية أشرق أسلوبه، وصار أكثر جاذبية لقرائه.

وتؤثر فلسفة الكاتب في الحياة وروحه العامة تأثيراً أساسياً في أسلوبه، فالروح المتفائلة أو المتشائمة تفرض سيطرتها على ما يكتب، والرؤية الساخرة أو الجادة للحياة سوف تجد صداها في أسلوب الكاتب، واستخدامه للغة وتوظيفه للفكرة، أو لشحن مقالته بعاطفة متأججة أو هادئة ستجعل لمقالاته أسلوبها الخاص.

ثانيا: طبيعة الموضوع الذي يكتب فيه:

تختلف المقالة التي تعالج موضوعاً أدبياً في لغتها وأسلوبها عن المقالة التي تعالج موضوعاً علمياً أو موضوعاً في الشؤون العامة، فكل موضوع له لغته الخاصة التي يستمدها من سياقه وطبيعته المختلفة.

ففي المقالة الأدبية يستطيع الكاتب أن يوظف الأخيلة، فيكتب بلغة مليئة بالاستعارات والصور الفنية، بينما يتجنب كاتب المقالة العلمية هذا المنحى غالباً، وقد يستخدم كاتب المقالة العلمية المتخصصة مصطلحات علمية لا يعرفها غير المهتمين أو المتخصصين، ولكنه يضطر إلى التخفف من المصطلحات التخصصية عندما يكتب لجمهور عام في جريدة يومية أو مجلةٍ عامّة.

ثالثا: نوعية القراء:

تختلف نوعية القراء واهتماماتهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية مما يؤثر تأثيراً كبيراً في نجاح أية مقالة في تأدية رسالتها . والكاتب الناجح هو الذي يعرف إلى أي نوع من القراء سوف تصل رسالته؟

فالكتابة لقراء الصحافة اليومية، يعني استخدام أسلوب يبتعد فيه الكاتب عن أسلوب التخصص، وتكون موضوعاته عامة بحيث تكون موضع اهتمام غالبية القراء.

والكتابة للصفحة الأدبية في الجريدة، تستدعي أسلوباً مختلفاً من الكتابة، لأن جمهور هذه الصفحات جمهور متخصص أو مثقف، لذا فإن استخدام الأسلوب الأدبي الرفيع لا يضير قراءها، بل قد يكون مطلوباً ومرغوباً فيه.

والآن سوف نتحدث بشيء من التفصيل عن عناصر المقالة:

عنصر اللغة:

اللغة هي وسيلة الاتصال الأساسية عند البشر، وتتكون الوحدة الأساسية للغة من الكلمات أو المفردات التي يتم بناء علاقات معينة بينها تشكّل التراكيب أو الجمل التي تترابط وتنمو حتى تشكل نص المقالة. والكاتب الناجح يستطيع اختيار الكلمات المناسبة ويتخلص قدر الإمكان من الكلمات الزائدة، فالاقتصاد في استعمال المفردات يحقق سمة الإيجاز التي تنسجم مع شروط المقالة. فكاتب المقالة يعبّر عن فكرته بأكثر الأساليب اقتصاداً. وما زالت القاعدة المشهورة "خير الكلام ما قل ودل " قاعدة بلاغية أساسية للحكم على نجاح المقالة.

ويمكن أن يتحقق استخدام الكلمات المناسبة في المقالات بمراعاة ما يلي:

1.التخلص من الكلمات غير الضرورية التي ترهق الجملة، وتشكل فائضاً لغوياً لا لزوم له. فيمكننا أن نقول: يعدّ خبيراً حاسوبياً، بدلا من: وهو صاحب خبرة ممتازة في مجال معرفة الحاسوب.

2.عدم تكرار الأسماء ما دام في الإمكان استخدام الضمائر المناسبة بدلا منها مثل : عانت مدينة القدس من الحصار وتعرض سكان القدس للتعذيب والتهجير، لكن أولئك السكان صامدون في القدس، يدافعون عن ثرى القدس وعن المقدسات الموجودة فيها.

ونقول عوضاَ عن ذلك: " عانت مدينة القدس من الحصار، وتعرض سكانها للتعذيب والتهجير، لكنهم صامدون في أرضهم/ مدينتهم، يدافعون عن ثراها ومقدساتها".

3.عدم تكرار الكلمات غير المفيدة: مثل قولنا: هناك أسباب عديدة لحصول د. إحسان عباس على جائزة الملك فيصل وجائزة سلطان العويس وأحد هذه الأسباب خدمته المتفانية للتراث العربي، والثقافة العربية

في عصورها القديمة والحديثة ويمكن أن نقول بدلا منها: مُنح د. إحسان عباس جـــائزتي الملـــك فيصـــل وسلطان العويس لأسباب عدة منها : خدمته للثقافة العربية قديماً وحديثاً.

4.عدم استخدام صيغة المبني للمجهول مع ذكر الفاعل تأثراً بالترجمة مثل: "مُنح ثلاثة علماء جائزة شومان للعلوم الاجتماعية من قبل لجنة التحكيم. وينبغي كتابتها: منحت لجنة التحكيم ثلاثة علماء جـــائزة شومان للعلوم الاجتماعية.

5.عدم استخدام جملة أو شبه جملة إذا كان بالإمكان استخدام كلمة واحدة. مثل: كانت الشاعرة فدوى طوقان هي التي تم الاحتفاء بها في حفلة يوم أمس نقول: احتفي بفدوى طوقان يوم أمس.

6.تجنب استخدام المفردات والمصطلحات والتعبيرات التي تبتذل مع كثرة الاستعمال فتصبح تعبيرات جاهزة لا معنى لها، ولا جدة فيها.

بناء الجمل:

وإذا انتقلنا إلى المستوى الثاني من وحدات اللغة فإننا سننتقل إلى بناء الجملة التي تتكـــون مـــن ترابط عدد من الكلمات في سياق محدد، ومن ترابط الجمل ونموّها تتشكل الفقرة. وعلينا أن نراعـــي في تركيب الجمل ما يلي:

1.أن تكون الجملة تامة: فالجملة يجب أن تكون اسميه أو فعلية تتضمن معـــنى تامـــاً، مثلمـــا تستكمل شروطها التركيبية، دون أن تبتر أو تقطع دون أن يكتمل التركيب، فإذا استخدمنا (إنّ) مثلا فيجب أن يرد اسمها وخبرها، وإذا بدأنا الكتابة بالمبتدأ فيجب أن نذكر خبرة، وإذا استخدمنا فعلاً متعدياً فيجب أن يظهر مفعوله.

2. أن يظهر كيان الجملة بوضوح بحيث لا تظهر أكثر من جملة وكأنها جملة واحدة، لأن ذلك يؤدي إلى الغموض والتشويش.

3. يفضّل أن يتم التعبير عن عناصر الجمل المتشابهة أو المتساوية في الأهمية بالطريقة نفسها، لتحقيـــق نوع من التناسب والتواؤم بين أجزاء التركيب. مثل : ألقى الطالب كلمتـــه بوضـــوح بصـــورة مختصرة. ويحسن بنا أن نقول ألقى الطالب كلمته بوضوح و أختصار.

4. يجب ألا تطول الجملة وألا يتم الفصل بين عناصرها الأساسية، مثل: الفصل بين المبتدأ والخـــبر/ الفصل بين الفعل والفاعل والمفعول به، إلى الحد الذي يجعلها غامضة وغير واضـــحة، ولـــذلك يستحسن أن تكون الجمل المعترضة قصية جداً بحيث لا تباعد بين أجزاء الجملـــة ولا تـــؤدي إلى غموضها. مثل : بنود اتفاقية غزة وأريحا التي تم توقيعها في واشنطن بين الفلسطينيين والإسرائيليين بحجّة إحلال السلام في المنطقة، في شهر أيلول عام 1993 غامضة غير محددة. ويمكن أن نقول:

بنود اتفاقية غزة وأريحا غامضة، وقد تم توقيعها في واشنطن.... الخ.

ومن أمثلة الفصل بين أركان الجملة بجمل اعتراضية طويلة: كانت الغابة ـــ التي ذهب إليهـــا طلاب الجامعة في رحلة علمية قريبة.

ويكن صياغتها هكذا: ذهب طلاب الجامعة في رحلة علمية إلى غابة قريبة.

2-3 عنصر الفكرة:

لا يكتب الكاتب مقالته من فراغ أو دون هدف. فهو يكتب مقالته حاملاً في طياتها رسالة يريد توصيلها، وهذه الرسالة تحمل فكرة أو أفكاراً تعبر عن وجهة نظره، ولا يتخيل المرء مقالةً دون فكـــرة مهما كانت قيمتها ويشكل الكاتب أفكاره من تجاربه وتجارب الآخرين في الحياة، ومن خلال ثقافتـــه العامة وتعليمه وقراءاته المستمرة.

وعنصر الفكرة عنصر أساسي في المقالة فهو الذي يجعل لها معنى، ويحدد الهدف منها. لكننـــا لا نتوقع أن تقوم المقالة بعرض أفكار عميقة معقدة بعيدة عن التناول، لأن مجال هذه الأفكـــار الأبحـــاث العلمية المتخصصة، فالمقالة تركز على فكرة محددة، ولا تطيل الوقوف عندها، وإنما تكتفي بمسّ جانـــب من جوانبها، أو إضاءتها بصورة شمولية بعيدة عن التفصيل والتعمق.

3-3 عنصر الأسلوب:

يختلف الكتاب باختلاف تكوينهم النفسي والفكري والاجتماعي والثقافي، ويختلفون باختلاف تجاربهم. ويشكل الأسلوب جزءاً أساسياً من تكوين البشر، مما يؤثر في سلوكياتهم وأدائهـــم وأشـــكال تعبيرهم، ومع اختلاف الموضوعات التي يتناولها الكتاب، فإننا نجد أن بعضها يلزمه دفقـــات عاطفيـــة، كالمقالات الأدبية ومقالات الصور الشخصية والسيرة وغيرها، كما تبتعد المقالات العلمية عن التأثيرات العاطفية لأن طبيعتها لا تتناسب مع العاطفة، وقد يدمج بعض الكتاب بين الأسلوب العاطفي والأسلوب المنطقي وينسج مقالته باستخدام العنصرين معاً.

نشاط:

يقول أحمد أمين في مقالته (كتابة المقالات):

والفرق بين كاتب وكاتب في شيئين: التلقي والإذاعة، فالفرق في التلقي هو أن الكاتب قد يكون دقيق الحس، يسمع حفيف الأشجار ودبيب النمال، ويرى دقيق الأشياء في الظلماء، ويرى قلوب الناس في أعينهم، ودخائلهم في صفحات وجوههم، وقد يرى بأذنه ويسمع بعينه، وقد يرى ما لا يرى الناس ويسمع ما لا يسمع الناس، وقد يدرك الجمال بتفاصيله، ويدرك القبح بتفاصيله، حتى كأنه قد منح من الحواس ما لم يمنحه الناس، وكأن حواسه ليست خمساً وإنما هي خمسون أو خمسمائة أو ما شئت، على حين أن أخاه الكاتب الآخر لم يمنح هذا القدر من الحس، ولم يبلغ هذا المبلغ من الذوق، قد فاق المألوف من الناس، ولكن إلى حد، وتسامى ولكن بمقدار.

ويفْضُلُ الكاتبُ الكاتبَ أيضاً في التلقي من ناحية أن كاتباً قد تتعدد مناحي إدراكه تعدداً متشعباً، فالطبيعة توحي إليه بأسرارها، والمجتمع يملي عليه بواطنه، والحياة كلها لا تضن عليه بخفاياها، والملح والفكاهات تدخر له أحسن ما لديها، والجد لا يضن عليه بخير ما عنده، فهو مستودع الأسرار، وملتقى البحار والأنهار، ومَنْ يأمنه كل على سره، ويفضي إليه بما يضن به على غيره، على حين أن أخاه الكاتب قد يصل إلى بعض الأسرار، ويدرك بعض الاتجاهات ويعجز عن إدراك البعض، قد يجيد فهم الطبيعة ولا يفهم للمجتمع سراً، وقد يجيد فهم الجد ولا يفهم الدعابة، ذكي في أمر وغبي في آخر، منير في جانب مظلم في جانب.

وأما اختلاف الكُتاب في "الإذاعة" فعلى هذا النحو أيضاً: منهم من يجيدها إلى أقصى حد، فصوته صاف جميل يأخذ بالألباب، ويستخرج منك العجب والإعجاب، وهو في كل ما يغني معجب

مطرب، سواء أحزن أو أسرّ وأضحك أو أبكى، وسواء غنى على العود أو الكمان أو البيان، وسواء غنى عالياً أو واطئاً، ومنهم من يجيد نوعاً دون نوع، هو في أحد الأنواع ممدوح الصنيع حميــد الأثـــر، وفي الآخر معيب مستهجن، يحسن العود ولا يحسن الكمان، يبني في ناحية ويقوض في أخرى، يواتيه الطبع في باب، فيأتي بالعجب العجاب، ولا يواتيه في آخر، فمهما اصطنع وتكلف فلا يأتي إلا بما تســتك منــه الأسماع(15).

اقرأ النص قراءة استيعابية ثم:

1. حلل العناصر المكونة للنص السابق.
2. من خلال النص السابق بين أساسيات تركيب الجمل.
3. بيّن أحمد أمين الفرق بين الكتّاب في (التلقّي) : اشرح هذا الفرق بلغتك.
4. اختر بعض أنماط الجمل في التركيب، وصغ جملاً مماثلة لها.

• بناء المقالة

يحتاج بناء المقالة إلى تنظيم أقسامها تنظيماً خاصاً بحيث تخرج المقالة بقالب فني يضع الكاتب فيه أفكاره بشكل مقبول.

وأصبح معروفاً أنّ بناء المقالة يتكون من الأقسام التالية:

1. العنوان.
2. المقدمة.

3.المناقشة (الجسم ـــ الجذع).

4.الخاتمة.

ومعظم الذين يدرسون المقالة يقتصرون في تقسيم المقالة إلى ثلاثة أقسام دون إشارة إلى العنوان:

وكما يرى توماس بيري في كتابه" الصحافة اليوم" "فأن المقال التقليدي يتألف من ثلاثة أجزاء على العموم، فالجزء الأول الذي يشبه الاستهلال في الموضوع الإخباري، يقدم بياناً عن حالة ما أو حجة سيصار إلى الدفاع عنها".

أما الجزء الثاني الذي يطلق عليه عن وجه حق لقب"الجسم أو الجذع" فإنه يباشر في التوسـع في ذلك البيان.

أما الجزء الثالث أو الخاتمة فيرتئي علاجاً،" أو يطلق مناشدة من أجل عمل مـا، أو يحـاول أن يجمل غاية الكاتب الأساسية في مقطع قوي التركيب" (16).

العنوان: (Title)

ينهض العنوان بدور كبير في جذب القارئ وإثارة اهتمامه لقراءة مقالة ما، ولـذلك يجـب أن يتسم بالتركيز، والإيجاز، والتعبير عن الموضوع، والقدرة على جذب القارئ أو تشويقه للإطلاع علـى نص المقالة، كما يجب أن يكون واضحاً بعيداً عن الغموض، ودالاً شاملاً بحيث يشير إلى القضـية الـتي يناقشها أو يعالجها الكاتب.

وقد ذكر ستانلي جونسون وجليوان هاريس مجموعة من الشروط التي يجب أن تراعـــى عنـــد كتابة العناوين الصحفية وبعض هذه الشروط صالح للتطبيق على عناوين المقالات بمختلف أنواعها، ومن هذه الشروط ما يلي (17).

1. يجب تجنب تكرار الأفكار وتجنب تكرار الألفاظ الواردة في العنوان.

2. تجنب العناوين التي تسبب اضطراباً أو غموضاً.

3. ينبغي للعنوان أن ينقل جديداً ويوحى بأن هناك عملاً قد انجز أو حدثاً ما، ولذلك يحسن أن يشتمل على فعل أو ما يدل على حدث.

4. يفضل استخدام الفعل المبني للمعلوم على المبني للمجهول.

5. يمكن استخدام الفعل المضارع أو المستقبل، فالمضارع يحل محل الفعل الماضـــي، واســـتخدام (س) أو (سوف) للاستقبال مع المضارع تحل محل المضارع وذلك للتعبير عن الموضـــوعات والأفكار والأحداث وفق زمنها.

6. ينبغي للعنوان أن يكون واضح العبارة تبدو عليه الجدة، وأن يتجنب العبارات المهجورة .

7. اختيار الكلمات التي تنقل الفكرة المطلوبة.

8. تجنب استخدام اللهجة العامية في العنوان ما أمكن.

9. ينبغي عدم استخدام الاختصارات ما لم تكن شائعة ومفهومة مثـــل اختصـــار اليونســـكو، الكسو.

10. ينبغي عدم اقحام الرأي في العنوان، أي يفضل إصغاء طابع الحياد والموضوعية ما أمكن.

11. ينبغي عدم استخدام الكلمات الزائدة وعبارات التدليل ما لم ترد في عنـــوان كتـــاب أو مسرحية أو فيلم سينمائي.

ومع ذلك فإن كتابة العنوانات للمقالات تتسم بالمرونة، وإذا كانت الشروط الســـابقة تنطبـــق انطباقاً تاماً على العناوين الصحفية الخبرية بشكل خاص، إلا أنها تبقى مؤشرات لكاتبي المقالة، وحريتهم كبيرة في صياغة العناوين بشرط تحقيق التعبير عن الموضوع والتركيز وإثارة الاهتمام.

المقدمة (Introduction)

يجب أن تشتمل المقدمة على جملة محورية Topic sentance تحتوي الفكرة الرئيسية التي ســـوف يتم مناقشتها وقد تكون هذه الجملة الشاملة الجملة الأولى في المقالة غالباً، وقد ترد في منتصف المقدمة، ويجوز تأخيرها بحيث تختم بها فقرة المقدمة، وغاية هذا القسم من المقالة تهيئة القارئ للموضوع، وإعطائه فكرة عامة عنه، ويستحسن أن تشمل على إثاره اهتمام أو استغراب لدى القارئ حتى ينجذب إلى المقالة ويشعر بضرورة متابعتها.

ففي مقالة "الكتاب" لأمين الريحاني تطالعنا مقدمة المقالة بما يلي:

"يقال إن الكتّاب نوعان، نوع يكتب ليعيش ونوع يعيش ليكتب، وقد فات من قال هذا القول إن هناك كاتباً آخر يستحق أن يرفع فوق الاثنين ألا وهو الكاتب الذي يعيش ويكتب"(18).

فهذه العبارة تلخص الفكرة الرئيسية التي يقوم الكاتب بمناقشتها فيما بعد، وهذه الجملة الافتتاحية هي الجملة المحورية التي تشتمل على ما يعرف بالفكرة المسيطرة (Controlling Idea)ومن الشروط التي يجب مراعاتها في مقدمة المقالة ما يلي (19).

1. أن تشتمل على الفكرة المسيطرة التي سيتم تطويرها في المقالة.

2. جملة الفكرة المسيطرة في المقالة هي وعد الكاتب للقارئ بأنه سيقدم له ما يدعمها.

3. جملة الموضوع(فكرة المقالة) يفضل أن تكون في بداية المقالة، لأن كتابة فقرة تشرح فكرة رئيسية أسهل من كتابة الأجزاء لتقود إلى تلك الفكرة.

4. الفكرة المسيطرة هي الجزء الأساسي في جملة موضوع المقالة.

5. الفكرة المسيطرة هي كلمة أو شبه جملة أو جملة محددة ومعروفة.

6. أفضل مكان تكتب فيه الفكرة المسيطرة هي أن تأتي في نهاية جملة الموضوع.

7. وقد تكون جملة الموضوع طويلة ولكن من الأفضل أن تكون قصيرة مختصرة.

8. يجب تجنب جمل الموضوع ذات النهايات المغلقة التي يعوزها الفكرة المسيطرة، ولا تقود إلى أي اتجاه، فلكي نطور جملة الموضوع يجب أن نختار جملاً مشعبة أو ممتدة قابلة للتطور والتفصيل، فالجملة المغلقة يصعب إتمام الكلام بعدها.

9. يفضل تجنب صيغة السؤال الصريح أو التنبؤ في جملْ الموضوع، لكن يمكن اللجوء إلى مـــا

يثير الاستفهام الضمني لإثارة الاهتمام والانجذاب، أو استخدام السؤال بأسلوب ملائم كي

لا تبدو المقالة أشبه بأوراق الاختبارات.

الجسم / المناقشة(Body)

يشكل هذا القسم الجزء الأساسي في المقالة. ففيه يتم عرض البيانات والحقائق والأدّلة التي تحاول أن تؤيد ما جاء في المقدمة وخصوصاً جملة الفكرة الرئيسية أو جملة موضوع المقـــال. وحجـــم المقالـــة يُشكل المجال الحيوي الذي يحاول فيه الكاتب إقناع القارئ بوجهة نظره، بأسلوب يعتمد على التسلسل في عرض الأفكار، وتقديم المعلومات الضرورية وتحليل وتفسير ما هو بصدد عرضه من أفكار أوظواهر أو أعمال أو منجزات.

ويتكون جسم المقالة من فقرة أو عدة فقرات، وكل فقرة يجب أن تتسم بالوحدة والتماســـك، والترتيب المنطقي، ويتحقق ذلك إذا كانت جميع الجمل في الفقرة ذات صلة بالفكرة المســـيطرة، ويـــتم عرض الأفكار فيها بتسلسل منطقي بحيث تؤدي الفكرة إلى الفكرة الأخرى وتختم الفقرة عادة بجملـــة استنتاجية.

فالكاتب في هذا القسم يتاح له عرض أفكاره ومناقشتها، مثلمـــا يبســـط حججـــه أو أدلّتـــه بالأسلوب الذي يختاره، حتى يفرغ مما يريده فيتهيأ لاختتام مقالته.

الخاتمة: Conclusion

يقوم الكاتب بتكثيف رأيه في خاتمة مقاله، وقد يقدم فيها ملخصاً لرأيه واستناجاته.

ولذلك تمثل الخاتمة خلاصة ما يريد الكاتب قوله، فقد يكون ذلك تقييماً أو دعوة للمشاركة أو اتخاذ المواقف أو عبرة للناس أو غير ذلك، مما يؤيد هدفه ويوصله إلى الغاية التي كتب من أجلها مقالتـــه، ويعمد بعض الكتاب إلى صيغ لغوية تشعر القارئ بفقرة الختام، كأن يستخدم تعبيرات من مثل: وأخيراً، وختاماً، وفي النهاية ، ومحصّلة الأمر، إلخ....

تدريب:

1- اذكر أقسام المقالة.

2-تحدث عن الفكرة المسيطرة في المقالة.

نشاط:

- اختر مقالة من كتاب(جنة العبيط) لزكي نجيب محمود وحلّل بناء المقالة التي اخترتها.

-اكتب نموذجاً لفقرة (المقدمة) مبيناً موقع جملة الموضوع (الجملة المحورية) والجملة المسيطرة

• خطة كتابة المقالة

أبرز لنا الحديث عن أقسام المقالة أسلوب بنائها الذي يتكون من شكل له ثلاثة أجزاء رئيســـية، تشكل كما يرى البعض ما يشبه شكل جسم الإنسان (الرأس ــ الجذع ــ الجسم ــ الأطراف) فالرأس هو المقدمة، والجذع هو الجسم، والأطراف هي الخاتمة.

والشكل التالي يمثل التصور العام لبناء المقالة:

المقدمة

الجسم / المناقشة - فقرة (1) -فقرة (2) -فقرة ......

الخاتمة

وتحتاج كتابة المقالة بناء على هذا التصور إلى وضع خطة لكتابتها، ومن ناحية شكلية يمكن للكاتب أن يتبع الخطة التالية:

المقدمة :

وتكون هي الفقرة الأولى في المقالة وتشمل على جملة الفكرة الأساسية للموضوع.

1. جملة تمهيدية عن موضوع المقالة (الفكرة الأساسية للموضوع)
2. جملة مناقشة.
3. جملة مناقشة.
4. جملة استنتاجية (خاتمة الفقرة).

جسم الموضوع :

ويشتمل على الفقرات التالية:

الفقرة الثانية: يتم فيها مناقشة جملة المناقشة رقم (2) في الفقرة الأولى.

الفقرة الثالثة: يتم فيها مناقشة جملة المناقشة رقم (3) في الفقرة الأولى.

الفقرة الرابعة: يتم فيها مناقشة جملة المناقشة رقم (4) في الفقرة الأولى.

الخاتمة: وتكون في الفقرة الخامسة إذ يقدم الكاتب خلاصة ما يكتبه.

وعدد الفقرات ليس ثابتاً، فقد يطول المقال ويحتاج إلى مناقشات أكثر ولذا فإن فقراته تزداد إلى الحد الذي تستدعيه الأفكار التي سيتم مناقشتها. ويمكننا أن نمثل خطة كتابة مقالة مكونة من خمس فقرات كما يلي:

المقدمة: تشمل على (الفقرة الأولى):

1- الفكرة الرئيسية

2- فكرة فرعية للمناقشة.

3- فكرة فرعية للمناقشة.

4- فكرة فرعية للمناقشة.

5- جملة ختامية.

جسم المقال :

مناقشة الفكرة الفرعية رقم (2) **الفقرة الثانية**

مناقشة الفكرة الفرعية رقم (3) **الفقرة الثالثة**

الخاتمة: **تلخيص /استنتاج/ دعوه وتوجيه** **الفقرة الأخيرة**

كتابة الفقرة:

مما سبق يتضح لنا أن أساس كتابة المقالة هو الفقرة، ولا بد من إتقان كتابتها كـي نسـتطيع الحصول على مقالة متماسكة محكمة البناء، وكي يتحقق ذلك يجب صياغة جملة الفكرة الأساسـية أو الفرعية في الفقرة بوضوح تام، كما يجب أن تكون الفقرة منظمة تنظيماً جيداً، بحيث يمكننا تتبع فكـرة مركزية واحدة فيها، وأنه يجب تدعيم موضوعها وتنميته بشكل ملائم، ويجـب أن تكـون صـياغتها متماسكة، وتمتلك السلاسة والبناء المحكم للجمل مع اختيار الكلمات المؤثرة الخاليـة مـن الأخطـاء الإملائية واللغوية ومرقمة ترقيماً جيداً. وكلما كانت معالجة موضوع الفقرة تخيلية ومثيرة للتفكير كـان ذلك أنجح لها، وللمقالة بوجه عام.

وكي تيم التعبير عن الأفكار في الفقرة بأسلوب ملائم، فإن صياغتها يجب أن تتم حسب نظـام محدد، وكما أوضح روبنشتاين Rubinstein وويفر Weaver فإن هناك جملة مبادئ لترتيب الأفكار بشكل مقبول، وهذه المبادئ تتمثل فيما يلي (20).

أولا: الزمن Time الترتيب الزمني يدلنا: على ماذا حدث، ويجيب على السؤال: وماذا حصـل بعد؟ وهو ترتيب من السهل تتبعه. وإذا استخدم جيداً فإنه يشبع حب الاستطلاع. ولكنـه يجـب أن يكون مرتبطاً ببعض الترتيبات الأخرى وإلا فلا فائدة له.

ثانيا: المكانSpace ترتيب المكانSpatial يدلنا على ما يوجد في المكان فيجب ألا نرى الأشياء فحسب، ولكن يجب أن نرى علاقة وجودها المادي وصلة بعضها ببعض، فيجب أن يكون هناك نظـام معّين.

ثالثا: من الخاص إلى العام Particular to General بإضافة المقالة تفصيل إلى تفصيل آخـــر فإنهـــا تقدم صورة (منظمة وشاملة).

وإعطاء مثال وراء مثال بحيث تقود الأجزاء إلى الكل إلى أن تظهر لنا مشهداً عاماً،فهذا يوصلنا إلى الاستدلال Induction الذي يعد طريقة واضحة ومقنعة مناسبة للمقالة التي تتسم باتجاهها إلى التعميم أو وضع قاعدة عامة General Statement .

رابعاً: من العام الى الخاص: General to Particular يمكن أن تبنى الفقرة من العام إلى الخـــاص، بتدرج من التعميم أو الفكرة الأشمل إلى الأجزاء أو الأمثلة الشارحة وخصوصاً عندما يهدف الكاتب إلى نقل معلومات أكثر من خلق تأثير.

خامساً: من البسيط إلى المعقدSimple to Complex بحيث تبدأ بالفكرة الأبسط الـــتي يمكـــن فهمها أولاً،ويكون التحرك من البسيط إلى المعقد. وعموماً، تتكون الفكرة المعقدة من مجموعة أفكـــار بسيطة متداخلة يؤدي تشابكها إلى الانتقال من البسيط للوصول إلى المعقد.

سادساً: من المألوف إلى غير المألوف Familiar to Unfamiliar يجب البد بما هو مألوف، لأن ذلك مريح وذو معنى للقارئ، حيث تصبح له قاعدة صلبة ينطلق منها إلى ما هو جديد وغير معروف.

ويمكن أن تبنى الفقرة بأشكال غير نهائية تتعدد وفق موهبة الكاتب وطريقته في الكتابة ، كمـــا أن طبيعة الموضوع أو الفكرة تؤثر في بناء الفقرة. فقد تبنى على سؤال ضمني أو صريح، وقد تبنى بصورة الحجة المنطقية أي بناء مقدمة أوأكثر للحجة ثم تطويرها وصولاً إلى ما يلزم عنها من نتائج.

• أنواع المقالة

تنقسم المقالة إلى نوعين أساسيين هما:

1– المقالة الموضوعية:

وتعرف عند البعض باسم المقالة العلمية أو المقالة الرسمية /المنهجية.

2– المقالة الذاتية:

تعرف باسم المقالة الأدبية أو المقالة غير الرسمية/ غير المنهجية، وسوف نتحدث عن هذين النوعين بشيء من التفصيل فيما بعد.

وقد عرض أنيس المقدسي لنوعي المقالة والفروق بينهما من خلال تفريقه بين الكتابة العلمية والكتابة الأدبية بقول:

" إن الكتابة نوعان رئيسان: كتابة فنية، وكتابة علمية. وتمتاز الأولى بأنها تعرض الخواطر والخوالج بأسلوب جميل مثير للشعور والخيال، وبالتالي ممتع للنفس. وتمتاز الثانية بأنها تتوخى إيصال المعلومات والحقائق عن طريق العقل والمنطق. فغرض الأولى المتعة النفسية الحاصلة من تذوق الجمال، وغرض الثانية الفائدة المعنوية والعقلية. وللحصول على هذه الفائدة لا بد للكاتب من توخي الحقيقة مهما اعترض سبيله أو وصل إليه من نتائج. ولكن هذا وحده لا يكفي، فكم من عالم يتوصل في بحثه أو مختبره إلى كثير من الحقائق، ولكنه حين يحاول عرضها على الجمهور تصبح هذه الحقائق بسوء تعبيره اللغوي أحاجي لا يفهمها إلا ذوو الاختصاص. فالكاتب العلمي اللبق هو الذي يعرف ما توصل إليه

الباحثون والمختصون من العلماء، ويفهمه حق الفهم، ثم يقدمه لجمهور المتعلمين بأسلوب رشيق واضح يستفيد منه الجميع ويجدون فيه غذاء مستساغاً لعقولهم.

ولقد يتوهم البعض أن لغة الأسلوب العلمي، ولغة الأسلوب الأدبي، على طرفي نقيض، فليس على العالم أن يتقيد بجودة اللفظ والعبارة حسب مقتضيات البلاغة، بل يسمح له أن يستعمل اللغة دون اهتمام بالقراء. وقد يجوز ذلك في المصطلحات الخاصة بالعلماء ولكنه لا يجوز فيما يوجه إلى أهل الثقافة العامة" (21).

المقالة الموضوعية:

أشرنا إلى أن المقالة الموضوعية تعرف أيضاً باسم المقالة العلمية، أو المقالة الرسمية/المنهجية.

وترى الموسوعة الأمريكية أن المقالات المنهجية Formal Essaies، هي أطول من غير المنهجية، ويكون التعبير عن الأفكار والاتجاهات الشخصية حول موضوعات غير شخصية ومحددة أكثر تنظيماً وإحكاماً. ويتم التركيز في هذا الأنواع على بنية منطقية وجدية في الهدف.

وقد تكون نقدية تفحص الأعمال الفنية أو الأحداث التاريخية وتحكم عليها، وقد تكون علمية تعرض نتائج تجربة أو ملاحظة، وقد تكون فلسفية تتعامل مع قضايا أخلاقية، أو دينية، أو تربوية، أو اجتماعية، أو سياسية.

وتحتاج المقالة الموضوعية مثل المقالة الذاتية، موقفاً أو وجهة نظر مع تركيز أقل على الكاتب، ويجب أن تمتلك المقالة الموضوعية وقاراً أكبر، ومجالاً أوسع، وتنظيماً أدق، وتحقيقاً أعظم للهدف.

وينطبق مصطلح Formal هذا على الأعمال الإيضاحية والوصفية التي تكون واقعية وموضـــوعية مثـــل مقالات المجلات في القرن العشرين، أو على الآراء المسببة مثل افتتاحيات الصحف(22).

ويرى د. عبد الكريم الأشتر أن المقالة الموضوعية (يحكمها منطق البحث ومنهجه الذي يقـــوم على بناء الحقائق على مقدماتها،ويخلص إلى نتائجها)(23).

وهذا النوع من المقالات أكثر ذيوعاً في القرن العشرين، ومعظم المقالات التي نقرأها في الصحف والمجلات والدوريات المختلفة من هذا النوع.

والمقالة الموضوعية تغطي مجالات المعرفة جميعها. إذ نجد المقالات السياسية،الطبية، الاجتماعيـــة، التاريخية، الاقتصادية، الفنية، الفلسفية. وغير هو مثل هذه المقالات لها بنيتها المنطقية وتنظيمها وفكرتهـــا الواضحة وهدفها المحدد.

ولعل الدارس يعود إلى مقالات الدكتور أحمد زكي في افتتاحيات مجلة العربي ليطلع على مقالاته العلمية المنوعة، ولعله يعود إلى مقالات د. زكي نجيب محمود ليتابع مقالاته الفلسفية، أو يتابع مقـــالات محمد حسنين هيكل فيتابع مقالاته السياسية، أو مقالات عباس محمود العقاد وطه حسين الأدبية.

أنواع المقالة الموضوعية

تنقسم المقالة الموضوعية إلى عدة أنواع من حيث طبيعة مضامينها، وفيما يلي عرض لأهم هذه الأنواع التي تتعدد باختلاف موضوع المقالة أو المجال الذي كتبت فيه:

1 . المقالة الموضوعية العلمية:

وهي المقالة التي تتناول موضوعاً من موضوعات العلــوم المختلفــة، كالطــب، الحاســوب، الاتصالات، الهندسة، الإدارة، البيئة، الكيمياء، الأحياء وغيرها، ومن أشهر كتابها في العربيــة الــدكتور أحمد زكي في افتتاحياته بمجلة العربي لسنوات طويلة، والدكتور عبد المحسن صالح.

ونجد نماذج كثيرة على المقالات العلمية في الصحف المتخصصة مثل مجلات العلوم والكمبيــوتر وغيرها.

2 . المقالة الموضوعية الأدبية:

وهي التي تتناول موضوعاً من موضوعات الأدب، سواء أكان ذلك نقداً أو تحليلاً لنص أدبي، أو استعراضاً لظاهرة أدبية أو تعريفاً بأديب أو عصر أدبي، وتندرج العديد من مقالات طه حسين في حديث الأربعاء ومقالات أحمد حسن الزيات تحت هذا النوع من المقالات.

3 . المقالة الموضوعية الاقتصادية:

وهي التي تتناول موضوعاً اقتصادياً ويقوم الكاتب باستعراض ظاهرة أو مشكلة اقتصادية يكتب عنها، مستخدماً في الأغلب لغة الأرقام للتدليل على صدق حجته، ويمكن متابعة مثل هذه المقــالات في المجلات الاقتصادية، وفي الصفحات لاقتصادية للصحف اليومية.

4 .المقالة الموضوعية الفنية:

وهي المقالة التي تتناول أحد موضوعات الفنون الجميلة أو الفنون الأخــرى مثــل : المســرح والسينما والتلفزيون، وتهدف المقالة إلى دراسة ظاهرة فنية، أو فنان، أو حركة فنية، أو تقوم بنقد لأحد الأعمال الفنية

5 .افتتاحيات الصحف والعمود الصحفي:

وهي مقالات تتناول مختلف شؤون الحياة العامة المحلية والإقليمية والدولية، وتحاول أن تقدم رأياً أو تفسيراً أو معلومات للقارئ، وبعضها يكون ذا هدف إقناعي للتأثير في الرأي العام وتوجيهه. وقد تسند الافتتاحيات إلى توظيف نوع من الأنواع السالفة أو بعضها لتوصيل رسالتها.

6 .السيرة الذاتية:

وهي مقالة ترمي إلى التعريف بشخصية مرموقة لها تأثيرها ودورها في المجتمع، ويكون في الغالب عند تحقيقها إنجازاً متميزاً أو للتذكير ببعض ملامحها أو سمات إنجازها.

7.مراجعة الكتب:

وهي المقالة التي تتناول بالتعريف والعرض كتاباً من حيث محتواه وقيمته الأدبية أو العلمية أو الفنية، ومقالات مراجعات الكتب شائعة في الصحف والمجلات الأسبوعية والدوريات المتخصصة.

8 .المقالة الفلسفية:

وهي التي تتناول موضوعاً فلسفيا فكريا، ومن كتابها : العقاد، زكي نجيب محمود، فهمي جدعان، محمود أمين العالم وغيرهم.

9: مقالات العلوم الاجتماعية:

وتتناول قضايا السياسة وعلم الاجتماع والنفس وغير ذلك مما يقع في هذا المجال.

المقالة الذاتية ــ غير الرسمية /الأدبية:

المقالة الذاتية هي مقالة تعتمد على إبداع شخصي، ولا تحكمها قاعدة، ويعتمد الكاتب علـــى حرارة علاقته بالقارئ،فهو يكتب عن الأشياء المألوفة أكثر من كتابته في الشؤون العامة أو المتخصصـــة، ويكتب مرتاحاً إذ يبوح فيها عن مكنون ذاته(24). وإذا رجعنا إلى الموسوعة الأمريكية فإنها تقدّم المقالـــة الذاتية ــ غير الرسمية ــ غير المنهجية على أنها قصيرة واستطرادية وشخصية جداً وتصريحات شخصـــية، وهي مثيرة للجدل من حيث معناها ومفككة من حيث بنائها،ويكون التركيز فيها على بيان جانب من شخصية الكاتب، وهي تتراوح في الطول دون نظام محدد، وأسلوبها ذو طابع شخصي، لذا فهي لا تقدم معالجة منهجية أو تحليلية للموضوع، وهي تحاول أن تذيع اتجاها أو نمطاً لتقنـــع أو تســـلي أو تـــؤثر في القارئ، وقد تكون المقالة الذاتية غير المنهجية سرداً Narrative وصفا Description وانطباعاًReflection وحلماً Dream، أو A Piece of Whimsical Edxtrapolatrion أو Exemplum أو أي شيء آخر (25).

وهذه الأنواع جميعها تشترك بطبيعتها الذاتية وهي غالباً ما تكون ذات سمة اعترافية، فالذي يعني الكاتب هو ما يفكر فيه حول الموضوع أكثر من الموضوع ذاته، وتقسم الموسوعة هذا النوع من المقالات إلى نوعين:

أ– المقالة المألوفة (الذاتية) Familiar Essay:

وهي التي تقدم جانباً من شخصية الكاتب، كما تستجيب لتجربة أو موضوع أو حدث علـــى ضوء مزاج مثير للجدل، ومع بناء يظهر أنه محدد بأنماط رابطة لعناصر المقالة، ومع ذلك فإن عدم وجود الشكل للمقالة المألوفة هو قناع خادع لتنظيم ماهر.

ب– مقالة الشخصية (السيرة) :

وهي تصف شخصية ممثلة Representative من حيث ميزاتها المهيمنة، ومن ثم تغدو المقالة تعليقاً ذاتياً على طبقة أو نمط ما، وغالباً ما تكون فطنة وساخرة (26). ويختلف مقالة السيرة الأدبية عن السيرة الموضوعية في أسلوبها وطريقة كتابتها، وأن اشتركت معها في التمحور حول شخصية مميزة.

ج- المقالة الوصفية:

وهي التي تقوم على الملاحظة الشخصية، والوصف الذاتي كما في وصف الرحلات أو مناظر الطبيعة أو غير ذلك.

د . كتابة المقالة الذاتية:

ليس لكتابة المقالة الذاتية منهج يمكن اتباعه، ولعل ملاحظات مصطفى لطفي المنفلوطي في هذا الصدد هامة، إذ يقول في مقدمة الجزء الأول من كتابه (النظرات) : " يسألني كثير من النـــاس كمـــا يسألون غيري من الكتاب: كيف أكتب رسائلي (مقالاتي)، كأنما يريدون أن يعرفوا الطرق التي أسلكها إليها فيسلكوها معي، وخير لهم ألا يفعلوا ، فإني لا أحب لهم ولا لأحـــد مـــن الشـــادين في الأدب أن يكونوا مقيدين في الكتابة بطريقتي أو بطريقة أحد من الكتاب غير، وليعلموا ـــ إن كانوا يعتقـــدون لي شيئا من الفضل في هذا الأمر ـــ أني ما استطعت أن أكتب لهم تلك الرسائل بهذا الأســـلوب.. إلا لأني استطعت أن أنفلت من قيود التمثل والاحتذاء" (27).

ويخلص المنفلوطي إلى قرائة بتقديم تجربته في كتابة المقالة، والعوامل التي ساندته في كتابته:

"ولقد كان أكبر ما أعانني على أمري في كتابة تلك الكلمات أشياء أربعة أنا ذاكرهـــا، لعـــل المتأدب يجد في شيء منها ما ينفع به في أدبه".

أولها: أنني كنت أحدّث الناس بقلمي كما أحدثهم بلساني، فلا أقيد نفســـي بوضـــع مقدمـــة الموضوع في أوله، ولا سرد البراهين على الصورة المنطقية المعروفة، ولا ألتزم استعمال الكلمات الفنيـــة التزاماً مطرداً إبقاء على نشاطه وإجماحي، وإشفاقاً عليه أن يمل ويسأم، فينصرف عن سماع الحـــديث أو يسمعه فلا ينتفع به.

ثانيها: أني ما كنت أحمل نفسي على الكتابة حملاً، ولا أجلس إلى منضدتي مطرقاً مفكراً: ماذا أكتب اليوم... بل كنت أرى فأكتب فأنشر ما أكتب، فأرضي الناس مرة وأسخطهم مرة، من حيث لا أتعمد سخطهم ولا أتطلب رضاهم.

ثالثها: أني ما كنت أكتب حقيقة غير مشوبة بخيال، ولا خيال غير مرتكز على حقيقـــة، لأني كنت أعلم أن الحقيقة المجردة عن الخيال لا تأخذ من نفس السامع مأخذا، ولا تترك في قلبه أثراً، كمـــا كنت أعلم أن الخيال غير المرتكز على الحقيقة إنما هو هبوة طائرة من هبوات الجو لا تهـــبط أرضـــاً ولا تصعد إلى سماء.

رابعها: أني ما كنت أكتب للناس لأعجبهم،بل لأنفعهم، ولا أسمع منهم: أنت أحسنت بـــل لأجد في نفوسهم أثراً مما كتبت، والناس كما قلت في بعض رسائلي، خاصة وعامة، أما خاصتهم فـــلا شأن لي معهم، ولا علاقة لي بهم، ولا دخل لكلمة من كلماتي في شأن من شؤونهم فلا أفرح برضـــاهم ولا أجزع لسخطهم"...(28).

تبرز ملاحظات المنفلوطي حقيقة المقالة الأدبية الإبداعية التي لا تلتزم بشروط المقالة الفنية، وهي تمزج بين الحقيقة والخيال وتعتمد على إبقاء العلاقة الحميمة مع القارئ وتتوجه إلى عامة الناس.

ويكتب د. زكي نجيب محمود مقالة في كتابه (جنة العبيط) بعنوان : (أدب المقالة) يتحدث فيها عن رؤيته للمقالة الأدبية (المقالة الذاتية)، وتكاد تقترب رؤيته من رؤية المنفلوطي في المقالة، وهو يتبنى رأي النقاد الإنجليز دون أن يبين من هم هؤلاء النقاد في معيار النقد لفن المقالة، إذ يرى أن أولئك النقاد يقولون:

"إن المقالة يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع، على شرط أن يجيء السخط في نغمة هادئة خفيفة ، هي أقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ، أو قل يجب أن يكون سخطاً مما يعبر الساخط بهزة من كتفيه ومط في شفتيه، مصطبغاً بفكاهة لطيفة، لا أن يكون سخطاً مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب.

شرط المقالة الأدبية أن يكون الأديب ناقماً، وأن تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكّه الجميل.

نريد من كاتب المقالة الأدبية أن يكون لقارئه محدثاً لا معلماً، بحيث يجد القارئ نفسه إلى جانب صديق يسامره لا أمام معلم يعنفه، نريد من كاتب المقالة الأدبية أن يكون لقارئه زميلاً مخلصاً، يحدثه عن تجاربه ووجهة نظره، لا أن يقف منه موقف الواعظ فوق منبره يميل صلفا وتيها بورعه وتقواه.... نريد للقارئ أن يشعر وهو يقرأ المقالة أنه ضيف قد استقبله الكاتب في حديقته ليمتعه بحلو الحديث، لا أن يحس كأنما الكاتب قد دفعه دفعاً عنيفاً إلى مكتبه ليقرأ له فصلا من كتاب.

لهذا كله يشترط الناقد الإنجليزي في المقالة الأدبية شرطاً لا أحسب شيوخ الأدب عندنا يقّرونه عليه، يشترط أن تكون المقالة على غير نسق من المنطق، أن تكون إلى قطعة مشعثة من الأحراش الحوشية (أقرب) منها إلى الحديقة المنسقة المنظمة ويعرف (جونسون) ــ ومكانته من الأدب الإنجليزي في الذروة العليا ــ يعرف المقالة فيقول:إنها نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، وهي قطعة لا تجري على نسق معلوم و لم يتم هضمها في نفس كاتبها، وليس الإنشاء المنظّم من المقالة في شيء" (29).

وقريب من هذا التصور ما يقدمه لنا أحمد أمين في كتابه فيض الخاطر إذ يكتب حول (كتابة المقالات) مبيناً أن هناك نوعين من المقالات، نوع علمي وآخر أدبي، والمقالات الأدبية عنده تتفق إلى حد كبير مع رأي المنفلوطي ورأي زكي نجيب محمود في المقالة إذ يقول:

" هناك نوع من المقالات هي المقالات الأدبية بالمعنى الخاص، وأعني بالأدبية أدباً إنشائياً صرفاً لا أدبَ بحثٍ ودرس، وهذا أصعب منا لأولى من حيث إنها تتطلب ــ فوق حسن الاستعداد ــ (المزاج الملائم)، فليس الكاتب في كل وقت صالحاً لها، بل لا بد أن يكون مزاجه ملائماً للموضوع الذي يريد أن يكتب فيه، فإن كان الموضوع فكهاً مرحاً فلا بد أن يكون مزاج الكاتب كذلك فكهاً مرحاً، وإن كان الموضوع عابساً حزيناً فلا بد أن يكون مزاج الكاتب من هذا القبيل، ولذلك قد يمر على الكاتب الأديب أوقات وخلع ضرسه أهون عليه من كتابة مقال، وإذا هو حاول ذلك فإنما يمتح من بئر أو ينحت في صخر، ذلك لأن هذه المقالة الأدبية لا بد أن تنبع من عاطفة فياضة، وشعور قوي ، فإذا لم يتوفر هذا عند الكاتب خرجت المقالة فاترة باردة لا يشعر منها القارئ بروح، ولا يحس منها حرارة وقوه. ولا يكفي ــ عند الكاتب ــ وجود العاطفة القوية، بل لا بد أن تكون هذه العاطفة من جنس الموضوع الذي يريد معالجته" (30).

ولأن المقالة الأدبية تتسم بالحرية المطلقة فإن موضوعاتها كذلك فكل شيء في الحياة صالح كما يرى أحمد أمين لأن يكون مادة للمقالة الأدبية ويقول في ذلك:

" وأما موضوع (المقالات الأدبية) فكل شيء في الحياة صالح لأن يكون موضوعاً، من الذرة الحقيرة إلى الشمس الكبيرة، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، ومن كوخ الفلاح إلى قصر الملك، ومن الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، ومن أقبح قبيح إلى أجمل جميل، ومن الحياة إلى الموت، ومن الزهرة الناضرة إلى الزهرة الذابلة، ومن كل شيء إلى كل شيء".

والكاتب الفني من استطاع أي يجد من كل شيء موضوعاً يجيد فيه ويستخرج إعجاب القارئ، ومن استطاع أن يجد من كل شيء نواة يؤلف حولها ما يصلح لها حتى يخرج موضوعه منسقاً تنسيقاً يبهر السامع والقارئ، وهو في تأليفه قد يضم الشيء إلى إلفه، وقد يضمه إلى نقيضه، وقد يصل به الكلام في الذرة إلى الكلام في الشمس، وقد يصل به الكلام في النملة إلى الكلام في الله، ولكن القارئ لا يشعر بمفارقات ولا يشعر بهوة بين أجزاء الكلام، ويسير مع الكاتب كأنه في حلم لذيذ أو قصة محبوكة" (31).

• مصادر موضوعات المقالة:

تتنوع مصادر الموضوعات التي يستقي منها الكاتب أفكاره، ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى نوعين:

1- مصادر تخصصية في حقول المعارف والعلوم الإنسانية.

فالكاتب الذي يكتب في مجالات طبية، فإن مصادر مقالاته ستكون من هذا الحقل، والكاتب المتخصص في الاقتصاد سيكون مجال موضوعاته الاقتصاد، والناقد الأدبي سيكون مجال موضوعاته

الأدب. وليس من شك أن المصادر التخصصية هي التي توفر المجال الخصب للمقالات العلمية، وهــذا لا يعني أن تكون حكراً عليها، إذ أن المقالات الذاتية يمكنها أن تفيد من هذه المجالات.

2- مصادر عامة متنوعة تشمل جميع حقول المعارف والعلوم الإنسانية والتجارب الحياتية، وهي مصادر ثرية لكتاب المقالة الذاتية التي تتسم بطابع شخصي، وكاتبها له حريــة مطلقــة في معالجــة أي موضوع. وهذه الحرية تترك المجال للكاتب لخوض الحديث عن جلائل الأمور وصغائرها، والحديث عن الأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والفنية والتربوية. إن مجال المقالة الذاتية مفتوح أمــام أية فكرة يقتنصها الكاتب ويقدمها إلى قرائه بأسلوب شيق.

يقول أنيس المقدسي: " إن كتابة المقال هي نوع من التعليق الشخصي على ما يعرض للكاتب من مشاهد الحياة والطبيعة. وهذا التعليق يجب أن يطبع بطابع شخصي يميزه عن سواه.

وإذا صح ذلك كان أمام الكاتب الحديث مصادر لا حد لها. فالتاريخ ، والمجتمــع البشــري، والعلم والطبيعة والأفلاك، والعالم الروحي الشخصي، والحركات الشعبية وغيرها كلها مجالات مفتوحــة أمامه، ومعروضة لدية ليستخلص ما يريد من المعلومات والعِبَر، ويتقلب كمــا يشــاء بــين المشــاهد والحوادث، وليعكس ما يستخلصه وما يراه مصطبغاً بصبغة شخصيته، مشرقاً بنور يضيء في قلبه.

ولا يراد بذلك أن يقرع أسماعنا بألفاظ وعبارات فارغة، أو أن يزوق لنا الكلام بألوان رخيصة، بل أن يمتعنا بطرافة التصوير، ولطف الأداء، وجمال الفكر في ما اختبره من مجريات الحياة، وسواء أكان الموضوع تأملاً فكرياً أو وصفا لحادثة أو مشهد، أو نقداً لبعض شوائب الحياة والمجتمع ، أو عرضا تهكمياً لبعض العادات والتقاليد، فإن المهم أن يكون للكلام فكرة عامة يحاول توجيهنا إليها، وأن يخرج من القلم خروج الماء من الينبوع، زلالاً يروي الظمأ وينعش الروح" (32).

المقالة الأدبية بين مدرستين:

منذ نهاية القرن التاسع عشر برز العديد من أعلام العربية الذين كتبوا المقالة وكانت لهم مدارسهم فيها.

وقد كان واضحاً أن هناك مدرستين في كتابة المقالة الأدبية:

أولاً: مدرسة التأنق اللفظي:

وكان من بينهم ، الأمير شكيب أرسلان، ومصطفى المنفلوطي، ومصطفى الرافعي الذين كانوا يرون ضرورة التأنق في العبارة وجودة السبك، وهم يعيبون على المدرسة الثانية سهولة عبارتها وخلوها من المحسنات البديعية ويتهمونها بالضعف.

ويصف مصطفى الرافعي الطريقة الجديدة بالضعف فيقول: " وأشهد ما رأيت قط كاتباً واحداً من أهل (المذهب الجديد) يحسن شيئاً من هذا الأمر (أي جودة التأليف) ولو هو أحسنه لانكشف له من إحسانه ما لايبقي عنده شكاً في إبطال هذا المذهب وتوهينه، ولذا تراهم يعتّلون لمذهبهم الجديد بالفن والمنطق والفكر وبكل شيء إلا الفصاحة. وإذا فصحوا جاء الكلام الفج الثقيل، والمجازات المستوحشة، والاستعارات الباردة، والتشبيهات المجنونة، والعبارات الطويلة المضطربة التي تقع في النفس كما تقع الكرة المنفوخة من الأرض لا تزال تنبو من موضع إلى موضع حتى تهمد".

ثانياً: مدرسة الأسلوب المرسل

المتحرر من التأنق اللفظي والمحسنات البديعية: يرى هذا الاتجاه توصيل الفكرة بعيداً عن الأسلوب المتأنق، مع جودة التأليف والبعد عن الابتذال، فيميل إلى اللغة الحرة البعيدة عن الصنعة، وعن تقليد أساليب القدماء في صياغاتهم وتعبيراتهم.

ومن أنصار هذا المذهب أحمد حسن الزيات، طه حسين، جبران خليل جبران، المازني، عباس محمود العقاد، السكاكيني وغيرهم. ويندرج تحت هذه المدرسة معظم الكتاب الذين مارسوا الكتابة مع منتصف القرن العشرين وإلى يومنا هذا، وقد أسهمت الصحافة والمجلات الأدبية في شيوع هذا التيار، وفي توقف مدرسة الأسلوب المتأنق.

الخصائص الفنية للمقالة:

من خلال دراستنا السالفة يمكننا أن نخلص إلى الخصائص المميزة لفن المقالة.

أولاً: إن المقالة فن نثري تتميز بأن حجمها قصير أو متوسط الطول.

ثانيا: أنها تقدم عرضاً لفكرة رئيسية واحدة، هي التي تُوحد المقالة وتسيطر على كيانها.

ثالثاً: إذا كانت المقالة ذاتية فإنها تُسمّى بالخاطرة أو الصورة القلمية وآنذاك يتحرر أسلوب بنائها ولغتها ، وتصبح إبداعية الطابع.

رابعاً:إن بناء المقالة الموضوعية يتكون بالإضافة إلى عنوانها من أقسام ثلاثة: المقدمة وجسم المقالة والخاتمة.

خامساً: إن أسلوب المقالة يعتمد على اللغة البسيطة، وتنأى المقالة عن التعقيد أو اللجوء إلى الغريب.

سادساً:إن عنوانات المقالات يجب أن تتسم بالإيجاز، والتعبير عن الموضوع، وإثارة اهتمام القارئ بالموضوع.

سابعاً: يّتسم عرض الأفكار بأسلوب له نظام خاص، ومبادئ ترتيب الأفكار ذات أساس منطقي، كأن ينتقل من الخاص إلى العام، أو من العام إلى الخاص، أو من المألوف إلى غير المألوف أو من البسيط إلى المعقد.

ثامناً: إن المقالة تعرض الفكرة أو تعبر عنها بأسلوب مبسط يبعد عن التعقيد وعن عمق التناول، والتخصص لأن ذلك مجاله الدراسات المتخصصة وليس فن المقالة.

• مشاهير الكتاب

منذ نهاية القرن التاسع عشر برزت أسماء كثيرة في كتابة المقالات.وقد قام هؤلاء الكتاب بنشر مقالاتهم في الصحف ثم جمعوها ونشروها في كتب.

ومن أعلام المقالة الراحلين:

شكيب أرسلان، يعقوب صروف، خليل السكاكيني، أحمد أمين، مصطفى المنفلوطي، مصطفى الرافعي، جبران خليل جبران، إبراهيم المازني، طه حسين، عباس العقاد، محمد حسين هيكل، أحمد فارس الشدياق، قاسم أمين، أمين الريحاني، مي زيادة،اسحق موسى الحسيني، أديب اسحق، عبد الرحمن الكواكبي، الشيخ محمد عبده، وغيرهم (34).

ومن الكتاب الذين برزوا بعد منتصف القرن العشرين لفيف كبير من الأدباء والصحفيين والعلماء ومن أمثالهم:

أحمد زكي، زكي نجيب محمود، مارون عبود، شكري فيصل، محمد حسنين هيكل، أحمد بهاء الدين، محي الدين صبحي، عبد الله كنون، كامل زهيري، يوسف إدريس، رجاء النقاش، شاكر مصطفى ،محمد جابر الأنصاري، عبد العزيز المقالح، صالح الخرفي وغيرهم الكثير، ولا يمكن حصرهم في هذه العجالة.

وفيما يلي تعريف ببعض أعلام المقالة:

1– أحمد فارس الشدياق (1805–1887)

ولد في قرية عشقوت في لبنان، ودرس في مدرسة عين ورقة وانتقل إلى مصر، حيث عمـــل في التعليم، وكتب في جريدة (الوقائع المصرية) ثم سافر إلى مالطة ليصحح في مطبعة (الوقائع) مطبعتهم، ثم انتقل إلى لندن ليشرف على ترجمة التوراة وانتقل إلى باريس وطبع كتابه (الساق على الساق فيما هو الفارياق)، وهو ترجمة ذاتية له، وفي باريس التقى أحمد باشا، باي تونس الذي دعاه إليها حيث أقام هناك واعتنق الإسلام، وأصبح رئيساً لتحرير جريدة (الرائد) التونسية، وذاع صيته، ثم استدعاه السلطان عبـــد المجيد إلى الاستانة حيث أصدر صحيفة (الجوائب) عام 1861 وبها أصدر كتابه (سر الليال في القلب) و(الإبدال) وهو كتاب لغوي وكتابه (الجاسوس على القاموس) أصدر في الرحلات كتاب (الواسطة في معرفة أحوال مالطة) وكتاب(كشف المخبا عن فنون أوروبا).

وقد تولى ابنه سليم إدارة (الجوانب) من بعده إلى أن توقفت عام 1884 وهـــو الـــذي جمـــع مختارات من الجوائب من سبع مجلدات أسماها (كنز الرغائب في منتخبات الجوانب) وكما يصفه الزيات فقد كان:

" متضلعاً في فنون الأدب متصرفا في فنون الإنشاء من هزل وبحوث ووعـــظ وأدب وسياســـة حافظاً لمفردات اللسان،بصيرا بمذهب البيان، يجيد النظم والنثر، وكان أسلوبه منسجم التراكيب متساوي المعاني، موفور الازدواج، شديد الإطناب، كثير الاستطراد، ظاهر المبالغة" (35).

نموذج من نثره: في التمدن:

(لا يخفى أن لفظة التمدن مأخوذة من المدينة، والمدينة مشتقة من مدن بمعنى أقام، على القـــول الأصح، وإن كان صاحب القاموس قد اضطرب فيها، فجعلها مرة من دان، ومرة من مـــدن، وكيفمـــا

كان ، فإن مرادف التمدن في اللغات الإفرنجية من معنى المدينة، وهو عندهم ـــ في الأظهرـــ عبارة عـــن استجماع كل ما يلزم لأهل المدينة من اللوازم البدنية والعقلية، فقولهم ـــ مثلاًـــ هذا رجل متمدن، ينزل منزلة قولنا: متأدب، كيس ، خبير وما أشبه ذلك، ومع بلوغ هذا اللفظة عنـــدهم إلى أقصـــى مـــدى الشهرة، وجرياها على الألسنة والأقلام، لم يزل عليها ظلال الالتباس والابهام، فإن كان صاحب صنعة يظن أن وجود صنعته بخصوصها هو المراد من التمدن، فإذا كان أحد المصورين مثلاً يذهب إلى بلاد ولا يجد فيها من أهل حرفته ، يحكم بأن تلك البلاد غير متمدنة، وكذا المغني والرقاص ونحوهما.

وضد التمدن عندهم هو الحالة الهمجية، وهي الخالية من الترتيب والنظام، فالحالة الأولى عندهم هي التي اتصف ها أهل أوروبا جميعاً والحالة الثانية هي التي يجودون ها على غيرهـــم، إلا أني أتعجـــب كيف يكون إجبار الناس مثلاً على نوع معلوم من اللباس أو الأكل من التمدن. وكيف يكون منه أيضاً قهرهم على أن يفعلوا ما لا تطاوعهم نيتهم عليه، فيسمّر بك من غرائب هذه الجوانب ما كلـــف بـــه المسلمون واليهود في الجزائر، وما أجبر عليه أهل وارسو من اللباس، فالأمر ينكره كل مـــن الفرنســـيس والإنكليز، ويحكمون بأنه خارج عن التمدن، والأمر الثاني ينكره الإنكليز ويجعلونه من قبيـــل الشـــطط المخالف للتمدن.

وفي الجملة، نرى في وجه هذا القرن الذي تزين بكثير من العلوم والاختراعات ، ما يشف عـــن الحالة الخلقية ـــ أعني الهمجية ـــ في تلك البلاد المتمدنة، ولا سيما ما يحدث فيها من القتل والاغتيـــال والسلب والاختطاف والفتن والتغاوي)) (36).

مصطفى لطفي المنفلوطي: (1876- 1924).

ولد بمنفلوط من قرى صعيد مصرعام 1876، في بيئة دينية، وكانت أسرته تتولى نقابة أحـــدى الطرق الصوفية، وأكمل تعليمه في الأزهر الشريف، وخالط علماء الأزهر، ومال إلى الاتجاه المجـــدد في الأزهر والذي كان ينتمي إليه الشيخ محمد عبده، وقد اتجه للكتابة الصحفية واتصل بالسياســـيين مـــن رجال عصره وأشهرهم سعد زغلول الذي قرّبه منه ورعاه.

كانت ثقافته أزهرية عربية أصيلة، و لم يتقن غير العربية واطلاعه على الآداب الغربية كان عبر ترجمات يترجمها له بعض المترجمين ثم يعيد صياغتها بأسلوبه الخاص كما فعل في كتاب ما جدولين، وقد صدر للمنفلوطي كتاب (النظرات) وهو مكون من ثلاثة أجزاء وكتاب (العبرات) وهما كتابان يتكونان من مجموعات من المقالات فيها خلاصة آرائه وتجاربه في الحياة، وكانت كتاباته في معظمها اجتماعية.

وتتمثل أعماله فيما يلي:

1. مجموعة مقالاته التي نشرها في المؤيد وجمعت في كتاب (النظرات).

2. كتاب (العبرات) مجموعة قصص مقتبسة عن الفرنسية أو موضوعه.

3. في سبيل التاج وهي منقولة عن كتاب فرنسو كوبيه.

4. الشاعر أو سيرانودي برجبراك وهي منقولة عن قصة لادموندروستان.

5. مجدولين أو تحت ظلال الزيزفون منقولة عن رواية لفونس كار.

6. الفضيلة أو بول وفرجيني عن رواية لبرنارد دي سان بير.

ويعدّ المنفلوطي من الكتاب المجددين، فقد نقل اللغة في عهده من التكلف والسجع والتعقد إلى اللغة السلسلة، وأسلوبه يعتمد على استخدام التعبيرات المجازية فالتصور الفني لدية كمـــا يـــرى أنـــيس المقدسي (لطيف مشرق لا تقعر يستثقل فيه ولا زخرفة تستهجن يمجها الذوق).

نموذج من نثره:

الأدب الكاذب:

" كنا وكان الأدب حالاً قائمة بالنفس تمنع صاحبها أني قدم على شر، أو يحدث نفسه بـــه، أو يكون عوناً لفاعليه فإن ساقته إليه شهوة من شهوات النفس، أو نزوة من نزوات العقل، وجد في نفســـه عند غشيانه من المضض والارتماض ما ينغصه عليه ويكدر صفوه وهناءه، ثم أصبحنا وإذا الأدب صـــور ورسوم، وحركات وسكنات، وإشارات والتفاتات، لا دخل لها في جوهر الـــنفس، ولا علاقـــة لهـــا بشعورها ووجدالها ، فأحسن الناس عند الناس إدباً وأكرمهم خلقا، وأشرفهم مذهبا، من يكذب على أن يكون كذبه سائغاً مهذباً،ومن يخلف الوعد على أن يحسن الاعتذار عن إخلافه، ومن يبغض الناس جميعا بقلبه على أن يحبهم جميعاً بلسانه، ومن يقترف ما شاء من الجرائم والذنوب على أن يحسن التخلص من نتائجها وآثارها، وأفضل من هؤلاء جميعاً عندهم أولئك الذين برعوا في فن (الآداب العاليـــة) أي فـــن الرياء والنفاق، وتفوقوا في استظهار تلك الصورة الجامدة التي تواضع عليها (جماعة الظرفاء) في التحيـــة والسلام.

واللقاء والفراق والزيارة والاستزارة والمجالسة والمنادمة، وأمثال ذلك مما يرجع العلم به غالباً إلى صغر النفس وإسفافها، أكثر مما يرجع إلى أدها وكمالها، فكان الناس لا يستنكرون من السيئة إلا لوها،

فإذا جاءهم قي ثوب غير ثوبها أنسوا بها وسكنوا إليها، ولا يعجبهم من الحسنة إلا صورتها، فإذا لم تأتهم في الصورة التي تعجبهم وتروقهم عافوها وزهدوا فيها، أي أنهم يفضلون اليد الناعمة التي تحمل خنجراً، على اليد الخشنة التي تحمل بدرة، ويؤثرون كأس البلور المملوء سماً على كأس الخزف المملوء ماء زلالاً، ولقد سمعت بأذني من أخذ يعد لرجل من أصدقائه من السيئات ما لو وزع على الخلق جميعاً للوث صحائفهم ثم ختم كلامه بقوله: (وإني على ذلك أحبه وأجله لأنه رجل (ظريف)! وأغرب من ذلك كله أنهم وضعوا قوانين أدبية للمغازلة والمعاقرة والمقامرة كأن جميع هذه الأشياء فضائل لا شك فيها، وكأن الرذيلة وحدها هي الخروج عن تلك القوانين التي وضعت لها، وما عهدنا ببعيد بذلك القاضي المصري الذي أجمع الناس في مصر منذ أيام على احتقاره وازدرائه لا لأنه لعب القمار بل لأنه تلاعب بأوراق اللعب في أحد أندية القمار، وسموه لصاً دنيئاً، والمقامر لصوصية من أساسه إلى ذروته (38).

يعقوب صروف (1852– 1927)

ولد يعقوب صروف في قرية الحدث بلبنان، ودرس في الجامعة الأمريكية في بيروت، وبعد تخرجه عمل في التدريس في المدارس الأمريكية في صيدا وطرابلس لمدة ثلاث سنوات، وأسس مع فارس عز مجلة المقتطف سنة1876 ثم نقلها إلى مصر سنة 1888، وأسس مع شاهين مكاريوس جريدة (المقطم). ولعبت (المقتطف) دوراً هاماً في خدمة الثقافة والعلم والأدب نحو نصف قرن وكان يعقوب صروف من المجددين واهتم بنشر الحقائق وقد امتاز أسلوبه بالإيجاز والدقة العلمية والفكر الواضح، واللغة السليمة والسلاسة وقال عنه العقاد :(إن صروف نشأ عالما، طبع على ملكات العالم الأمين لفكره والحريص على حقيقته، كان مطبوعاً على التحقيق لأنه عالم يقول ما يعلم ويلتزم ما يفهم).

ويقول عنه أنيس المقدسي: (وإنما أفاد الأدب فائدته النفيسة من جانب القصر والتحقيــق، لأن الأدب في ذلك الزمن كان أحوج شيء إلى قصر العبارة وتحقيق المعنى، وكان كلاماً لا مغــزى لــه ولا روح، ولا غاية له وراء الألفاظ المرصوفة والجمل المحفوظة والتزويق الذي لا يرضاه ذوق الجمال) (39).

وله العديد من الأعمال صدرت في مجلدات بعضها معرب والبعض الآخر مؤلف مثل (ســراج النجاح) و (الحرب المقدسة) و(الرواد) و (أعلام المقتطف) و (رجال المال والأعمال) و (نوابغ العــرب والانجليز) الذي نشره في (المقتطف).

نموذج من نثره:

من كتابته السيرية قوله من فصل يصف فيه الدكتور شبلي شميل:

" العلماء فريقان فريق يبحث ويحقق حتى يكتشف ناموساً طبيعياً، تبنى عليه الأحكام أو حقيقة علمية تقام عليها القواعد كإسحق نيوتن مكتشف ناموس الجاذبية ، وداروين مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي، وباستور مكتشف أسباب الاختمار والفساد. وفريق يتناول هذه النواميس والحقائق ويبني عليها علوماً واسعة النطاق ويفسر بها الأفعال الطبيعية والأعمال الإنسانية (كما فعــل هكســلي وسبنســر وغوستاف ليبون وغيرهم من الذين أفادوا نوع الإنسان فوائد لا تقدر، والعلماء الأولون هم أهل النظر في الغالب والآخرون من أهل العمل، وقد يقتصر عملهم على تعميم العلوم وترغيب الناس فيها واتخاذها وسيلة لنفع الإنسان. ولقد كان الدكتور شميل من هذا الفريق الأخير لأنه تناول مذهب النشوء وتــرجم كتاباً مفصلاً فيه، وهو شرح مختصر على مذهب دارون. ثم توسع في هذا الموضوع وطبقه على كل مــا في الكون حاسباً أيا وسيله لغاية سامية وهي إصلاح حال المجتمع الإنساني، ولو أتيح له أن يخدم بلاده

في منصب سياسي لأدخل فيها إصلاحات كثيرة صحية وقضائية وتعليمية واجتماعية، لأن مذهب النشوء لا ينحصر في تفسير تولد أنواع الحيوان والنبات بل يتناول تولد الأخلاق والشرائع والقـــوانين وكـــل أعمال البشر" (40).

هوامش الباب الأول

1. ابن منظور :لسان العرب ، ط دار صادر، بيروت 1992 مادة (قول).
2. النابعة الجعدي. (شاعر مخضرم منسوب إلى بني جعدة على عادة القبائل التي نبع فيها بعض الشعراء) وأشهر النوابغ: النابغة الذبياني من شعراء الجاهلية.
3. د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ود. عبد القادر الطويل، المقالة في أدب العقاد.
4. د. عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية (ص 4-7).
5. د. إبراهيم السعافين وآخرون: أساليب التعبير الأدبي ، ص (255-256).
6. د. شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص (205).
7. The Encyclopeadia Americana op.cit,p. 589
8. Ibid , p. 589- 590
9. فصل (المقالة في : الأدب والأنواع الأدبية ترجمة طه حجار ص 213 - 215 .
10. محمد يوسف نجم، فن المقالة، ص 32-33.
11. المرجع السابق ص 34 .
12. د. عبد الكريم الأشتر ، تعريف بالنثر العربي الحديث ص 171- 175.
13. د.عبد القادر الطويل، المقالة في أدب العقاد، ص 44 - 45 .
14. د. الاشتر، مرجع سابق 174- 175.
15. أحمد أمين، فيض الخاطر، مقالة (كتابة المقالة).
16. توماس بيري ، (الصحافة اليوم) ترجمة مروان الجابري، ص 297.

17. ستانلي جونسسيون وجليوان هاريس : استقاء الأنباء، ترجمة وديع فلسطين، القاهرة، دار المعـــارف بمصـــر 1960). ص 382 –387 .

18. أمين الريحاني: الريحانيات / ج1 بيروت: دار الريحاني) ص 43.

19. Joseph D. Gallo & Henry W. Rink. Shaping College Writing Parargaph& Essay 2nd ed (New Yourk. Harcourt Brace Jovanovich, Inc. 1973) p.8

20. Leonard Rubinstein & Robert G. Weaver, The Plain Rhetoric (Boston, Massachusetts: Allyn & Bacon: 1966) P..13-16

21. أنيس المقدسي،ا لفنون الأدبية وأعلامها. ص 243- 245.

22. Encyclopeadia Op. cit P, 589

23. عبد الكريم الاشتر، سبق ذكره ص 175 .

24. M. H. Abrams: Glossary of Literary Terms, 4th Edition (Holt, Ricehart& Winston 1981)p.56

25. Encyclopeadia Americana op. cit p. 589

26. Ibid, p. 589

27. مصطفى لطفي المنفلوطي : النظرات/ ج1 بيروت، دارالجيل، د.ت 5/1 .

28. المصدر نفسه، ص. 40 – 42.

29. د. زكي نجيب محمود : جنة العبيط، (بيروت، دار الشروق، ط 2 ، 1982. ص (8 – 10).

30. أحمد أمين : (فيض الخاطر) ص 178.

31. المصدر نفسه ص 179.

32. أنيس المقدسي : سبق ذكره، ص 232.

33. مصطفى الرافعي: في ظلال القرآن، ص 15.

34. للمزيد من المعلومات عن كتاب المقالة يمكن الرجوع إليها لكتب التالية:

- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي ط 25 (القاهرة: دار النهضة مصر للطباعة والنشر)

- أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة

- حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي

- عمر الدسوقي: في الأدب الحديث.

- د.كمال اليازجي: رواد النهضةالأدبية في لبنان الحديث.

35-أحمد حسن الزيات،مصدر سبق ذكره ص .471

36- احمد فارس الشدياق: كنز الرغائب، نص رقم 5488 مكتبة جامعة القاهرة.

37- أنيس المقدسي، مصدر سبق ذكره ص .295

38 - مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات ج.1

39- أنيس المقدسي، مصدر سبق ذكره، ص 245 – .246

40 - يعقوب صروف، مجلة المقتطف، العدد

الباب الثاني
مهارات كتابة المقالة

- تمهيد:
- **صفات الكتابة الجيدة**
- **تلخيص المقالة**
- **مقالة التلخيص** (المراجعة)
- **تحرير المقالة**
- **منهج العقاد في كتابة المقالة**

الباب الثاني
مهارات كتابة المقالة

تمهيد:

ليس هناك قواعد محددة يصير بها المرء كاتباً، سواء أكان ذلك في فن المقالة أم في غيرهـــا من الفنون، وإنما يمكن وضع جملة من المفاتيح العامة التي يفيد منها الطالب والكاتب في تطـــوير مهارة الكتابة، وفي تحسين الأداء العام فيها، لأن عملية الكتابة مسألة، معقدة تتداخل في تكوينـــها عوامل شتى، ولا بد من الانتباه إلى سائر تلك العوامل من أجل تحسين الكتابة.

ومعنى ذلك أن ما نقدمه في هذا الباب لا يهدف إلى تكوين كتّاب مـــن العـــدم، ولا إلى تحويل الطلبة إلى مبدعين في هذا الفن، ولكنّه يمكن أن يفيد الدارس في تطوير أدواته، مثلما يمكن أن يفتح نوافذ عديدة لهواة الكتابة عن طريق مراعاة كثير من الملاحظات والمحددات العامة التي يمكـــن الانتباه إليها في هذا المجال.

تبدو الكتابة عامة نتاج شبكة متداخلة من العلاقات والمستويات في الفكر واللغة والتكوين النفسي والتهيؤ العقلي، فالإنسان يحتاج إلى اللغة للتواصل مع محيطه الاجتماعي ومع غـــيره مـــن ا لناس، ومستوى الكتابة أحد مستويات التواصل اللغوي، ويمكن أن نتذكر في هذا السياق التعريف المشهور الذي وضعه ابن جنّي للغة في كتابة (الخصائص).

"حدّ اللغة أصواتٌ يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم" (1) .

فاللغة ذات طبيعة صوتية لأنها تتكون من أصوات، ولكل صوت شكل كتابي يلجأ إليه عند تحويلها إلى صورة مكتوبة، ويلجأ الإنسان إلى اللغة لأنها تقوم بوظيفة اتصالية تعبيرية تعينه على أداء أغراضه وحاجاته، كما أن اللغات البشرية تختلف باختلاف الأقوام أي الثقافات والمجتمعات.

ولكل لغة مكونات وعناصر تبنى عليها، كما لها طبائعها ونواميسها بمختلف مستويات استخدامها وتوظيفها ، ففي المستوى الشفوي يلجأ الإنسان إلى البيئة المحيطة به فتتسلل اللغة إلى الطفل ويتسلل إليها عبر عملية اكتسابية معقدة، تبني على ملكة فطرية توجد مع الإنسان منذ ميلاده.

لكن المستوى الكتابي منها يبدو معقداً مختلفاً عن مستواها الشفوي، ومن الضروري أن ننتبه إلى هذا التمييز، فلغة المشافهة في الحياة اليومية لا تصلح أن نكتب بها ، لأنها تخدم وظائف محددة ، كما أن لغة الكتابة أيضاً تمتلك اختلافها، ويجانب الصواب من يخلط بينها، أو يظنّهما شيئاً واحداً ، مع أن المبدعين من الكتاب يستفيدون من مستويات اللغة في تطوير كتابتهم و إبداعاتهم.

• شروط الكتابة الجيدة

هناك مجموعة من المحددات العامة التي تشكل حدوداً كبرى يمكن الإفادة منها بتطوير الكتابة، ويمكن أن نجملها في النقاط التالية:

أولا: صحة اللغة وسلامة التعبير

فلا ينبغي لمن يكتب أن يقع في أخطاء نحوية أو صرفية أو إملائية، لأن الخطأ اللغوي يؤدي إلى ارتباك في المعنى، وفي العربية ترابط واضح بين المبنى والمعنى أو الشكل والمضمون، فأنت إذا رفعت (المفعول به) مثلاً: فإن ذلك سيؤدي إلى معنى مغاير لما تريده فالقارئ سوف يفهم شيئاً آخر غير ما أردته، أو أنه سيقف مرتبكاً أمام الجملة أو التعبير دون أن يتحقق من المعنى المقصود.

وقد أشار أبو هلال العسكري صاحب كتاب (الصناعتين) إلى أهمية العناية بالألفاظ وصحتها، قال" وأجود الكلام ما كان جزلاً سهلاً ، لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مبناه، ولا يكون مكدوداً مستكرها، ومتوعراً متقعراً، ويكون بريئاً من الغثاثة، عارياً عن الرثاثة، والكلام إذا كان لفظه غثاً، ومعرضة رثاً كان مردوداً، ولو احتوى على أجل معنى وأنبله، وأرفعه وأفضله" (2)

فالمعنى الجيد وحده لا يكفي لإتمام عناصر الكتابة، بل لا بد من العناية بالألفاظ والتراكيب، فيتجنب الكاتب ضعف التركيب وغثاثة التعبير، مثلما يتجنب الأغلاط التي تؤدي إلى الضعف والركاكة، لأن المعنى الجليل الذي يريده لا يصل إلى المتلقّي إن لم يعتني بلغته واختيار ألفاظه وبناء تراكيبه وجمله.

ثانياً: الترابط والتجانس:

ويعني عنصر التجانس في الكتابة إشاعة مناخ واحد في النص يرتاح إليه المتلقي، ولذلك ينبغي ان يتجنب الكاتب الانتقال من مناخ إلى آخر دون غاية أومناسبة، ومن العناصر التي تسهم في المحافظة على الترابط والتجانس(3):

إعطاء معلومات وافية وكافية عن الموضوع، والإلمام به إلماماً مُرْضياً وملائماً، فإذا كتبت في موضوع ما، فينبغي أن تشبع هذا الموضوع، وتشعر القارئ أنك على معرفة بجوانبه وتفاصيله حتى لو تحدّثت باختصار وتكثيف.

التخلص ممّا ليس له علاقة بالموضوع، وتجنّب الاستطراد إلى تفاصيل وفرعيات تضعف عنصر التركيز، فالاستطراد يشتت الأفكار ويمزقها، مثلما يشتت المتلقي، ولا يساعده في إدراك جوانب الموضوع ومكوناته.

بناء علاقات مناسبة بين عناصر الموضوع، وأجزائه، لتعمل بانسجام وتواؤم لتحقيق غرض الكاتب، وذلك بتوفير روابط كافية سواء أكانت روابط لفظية (لغوية) أو من خلال تنامي الأفكار، وبنائها وفق مبدأ النّمو العضوي الذي يساعد في تطوير أجزاء الموضوع على نحو متدرج متنامٍ.

الترابط والتجانس، يعني نمطاً من التعدد والتنوع في إطار الوحدة، ولا يعني أن يكرر الكاتب فكرة واحدة من أول كتابته إلى آخرها، فالفكرة المحورية تنقسم إلى أجزائها (الأفكار الفرعية) وتظل ترتبط بالمركز، تماماً كالجسد الذي يشتمل على أعضاء كثيرة لكنها متناغمة في أدائها واتصالها.

ثالثا: الإقناع والتأثير

من سمات الكتابة الجيدة أنها تترك أثراً إيجابياً في المتلقي، وبذلك ينجح الكاتب في الوصول إلى مقصده، وعادة يعمد الكتاب إلى سبيلين في إحداث التأثير:

أسلوب الإقناع العقلي:

ويتأتى ذلك من خلال مخاطبة عقل المتلقي وذهنه ، إما ببناء حجج منطقية لا تشوبها المغالطات، وإما بالاعتماد على معلومات يتوقع من القارئ عدم إنكارها، وإمّا بابتداع أدلة وبراهين شتّى من الواقع أو التاريخ أو أي سياق يناسب الموضوع، فالكاتب في هذا الأسلوب يخاطب عقل القارئ ، ويعوّل على مداركه الذهنية، ولذلك يحشد ما أمكنه من أدلة وحجج يمكن أن تدفع القارئ للتسليم بما يقوله الكاتب .

ب- التأثير العاطفي/ الوجداني:

وذلك من خلال العمل على إثارة عواطف المتلقي ومشاعره، فالخطاب هنا عاطفي يتعمّد التأثير القلبي ، مما يستلزم أسلوباً مؤثراً مشحوناً بالمواقف والمؤثرات الوجدانية، وليس من السهل النجاح في هذا الأسلوب ما لم يكن الكاتب نفسه صادقا أو مقتدراً.

رابعاً : التجربة الإنسانية

تكشف الكتابة الجيدة عن الاتباط الوثيق بين الكاتب وموضوعه،بحيث تتضح التجربة الإنسانية أو أطراف منها لتنتقل إلى خبرات القارئ ومعارفه.

ولا يعني الكشف عن التجربة الإنسانية أن يرهق الكاتب قارئه بأخباره وتفاصيل حياته اليومية دون مناسبة ، أو بطريقة ساذجة، لأنها حين ذاك تتحول إلى كتابة تدور في حمىّ(حب

الذات) والانشغال بها عما سواها. فالتجربة تعني التحول بما هو ذاتي وشخصي إلى بعد موضوعي/ إنساني، من خلال تعميقه والانتقاء منه بما يفيد القارئ ويعمق مشاعره وتجاربه في الحياة.

خامساً: الجمع بين المتعة والفائدة

تسعى الكتابة الجيدة إلى إثارة انتباه القارئ وإبقائه مشدوداً ومنجذباً إلى ما يقرأه، فهي بعيدة عن الإملال، ولذلك ينبغي للكاتب أن يضّمن كتابته ألواناً من التشويق، وفنوناً من الاستثارة، سواء من خلال المضمون أو الأسلوب، كي يبعد خطر الرتابة والإملال عن كتابته.

ومما يمكن أن يُعْمَد إليه في سبيل تحقيق عنصر التشويق والمتعة، فضلاً عن الفائدة التي ينالها القارئ عبر تواصله مع أفكار الكتابة ومضامينها ما يلي:

أ – أسلوب السخرية أو التهكّم:

فهذا الأسلوب من أبرز الأساليب الممتعة المشوقة، إذ أن فيه سهولة في التوصيل، عندما يضحك القارئ ويوصل رسالته أثناء ذلك، وقد برز عند الجاحظ في تراثنا العربي، ثم تبعه فيه إبراهيم عبد القادر المازني الذي طوّره وأبدع فيه، مثلماً أفاد منه زكريا تامر، فيما يكتبه من مقالات.

الأسلوب القصصي:

تميل النَّفس الإنسانية إلى السرد وأسلوب الحكاية بطبيعتها أكثر من التلقين، أو التلقي الجامد، ولذلك يمكن للكاتب أن يصوغ موضوعه من خلال حكاية مناسبة، ويمكن أن يبتدى

كتابته بقصة دالة واقعية، أو متخيلة، ونجد هذا الأسلوب فيما يكتبه زكريا تامر ومؤنس الرزاز وغيرهما.

ج – توظيف الحياة اليومية:

المقالة بطبيعتها تتوجه إلى قطاع واسع من الناس، وكلما اقتربت الكتابة من حياة أولئك الناس ازدادات فرصتها في التواصل والتأثير، ولذلك يحسن بكاتب المقالة أن يستعين ببعض مكونات الحياة اليومية، والمناخات الشعبية، من توظيف للأمثال والأقوال الشائعة، ويمكن أن يضمن مقالته بعض المفردات الشعبية، (بشكل محدود) وكذلك ما يلتقطه من حكايات ومواقف واقعية يمكن أن تثير في مقالته جوّاً من الحيوية والمتعة، فضلاً عن التأثير في المتلقّين /القراء.

د- تجنب التكرار والإطالة والاستطراد:

لأن التكرار يؤدي إلى الإسهاب والاستطراد من غير طائل، وينتج عن ذلك الضجر والملل اللذان يبعدان القارئ عن متابعته. فكل فكرة يعبر عنها والحيوية في الأسلوب.

سادساً: حسن التنظيم والتقسيم

يحسن بالكاتب أن يراعي بعض الشروط الشكلية في الكتابة، كوضوح الخط سواء أكان خط اليد أو الكتابة المطبوعة،فيختار حجماً ملائماً للحرف/ الخط كي يتمكن القارئ من التواصل مع كتابته، وكثيراً ما يتجنب القارئ مطالعة بعض الصحف لأنها مكتوبة أو مطبوعة بخط صغير، لا يكاد يبين ، فالشكل مهم جداً عند القارئ.

كما يجب تقسيم المقالة إلى فقرات فلا تكون كتلة واحدة، فتظهر المقدمـــة بوضـــوح ثم فقرات العرض، وأخيراً فقرة الخاتمة، فهذا التقسيم أيضاً يساعد القارئ في التلقي، وفي تحديد المعاني الرئيسة في كل فقرة.

أما العنوان فينبغي أن يظهر بوضوح في رأس الصفحة، وتترك مسافات كافية بين العنـــوان وجسم المقالة أو نصها، واليوم تتفنن الصحف في إبراز العناوين، واختيار خطوط مميزة لها أكبر من خط الكتابة /النص، من أجل إبرازه والإفادة من دوره في جذب القارئ وتنبيهه.

سابعاً: مراعاة علامات الترقيم

وعلامات الترقيم إشارات أو رموز تؤدي معنى معيناً، وينبغي أن يفيد الكاتب من دلالتها من حيث التنبيه على مواضع الوقف، وتقسيم الجمل والفقرات والدلالة علـــى معـــاني مخصوصـــة كالاستفهام والتعجب الخ...

• تطبيقات على صفات الكتابة

مقالة (أهم حادث أثر في مجرى حياتي) لمي زيادة.

أقرأ المقالة التالية لمي زيادة وقم بتحليها في ضوء ما عرفته من صـــفات الكتابـــة الجيـــدة، مستعيناً بالأسئلة والمناقشات التالية:

1. بين أبرز عناصر الترابط والانسجام في هذه المقالة من ناحية المضمون؟

2. استخدمت مي زيادة عدداً من أدوات الربط بين الجمل والفقرات هات أمثلة كافية على هذه الأدوات.

3.هل اقنعتك مي في مقالتها؟ ولماذا؟

4.ما الأسلوب الذي اعتمدت عليه مي في الإقناع أو التأثير؟ وما تقييمك لنجاحها فيه.

5.اعتمدت مي على تجربتها الشخصية في هذه المقالة. هل نجحت في تحويل الذاتي إلى موضوعي؟

6.إلى أيّ حد توافرت هذه المقالة على عناصر الإمتاع والفائدة؟ بين ذلك بوضوح.

7.ما أهم مناحي الأسلوب وسماته عند مي زيادة من خلال مقالتها؟

8.ما رأيك في توظيف الكاتبة لعلامات الترقيم؟. هل أعانتك على فهم المقالة والتواصل معها؟

9.ما الأمور التي تجنبتها مي زيادة، مما يضعف الكتابة ويؤدي إلى الركاكة.

10.أسئلة جزئية: أ- اختر عنواناً آخر للمقالة(في ضوء معايير الكتابة الجيدة).

ب- اختر واحداً من الأعلام الذين ذكرهم الكاتبة واكتب عنه فقرة تتسم بصفات الكتابة الجيدة.

ج- لخص مقالة(مي) في عشرة سطور.

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

مي زيادة

في مشاهد لبنان الجميلة، حيث الجنان المزدانة بمحاسن الطبيعة الضاحكة والجبال المشرقة بجلالها على البحر المنبسط عند قدم هانيك الآكام الوادعة ــ كنت أسرح الطرف بين عشية وضحاها وأنا طفلة صغيرة بمدرسة عينطورة، فكانت توحي إلى نفسي معاني الجمال، فتفيض شعراً

أسطّره في أوقات الفراغ وأثناء الدروس التي كنت أُشْغَل عنها بنظم الشعر وتدوينه، حتى اجتمع لي منه مجموعة باللغة الفرنسية سميتها(أزهار الحلم) ونشرتها بإمضاء(أيزيس كوبيا) سنة 1911 بعد أن نزلت مصر مع والدي. وكانت هذه المجموعة أول كتاب صدر لي في عالم التأليف.

ولما رأى المحيطون بي أني أكتب باللغة الفرنسية دون العربية نصحوني بدراسة الأدب العربي ومطالعة الكتابات العربية الفصحى، وكان والدي – رحمه الله قد أصدر في هذا العهد جريدة المحروسة ، فأخذت أقرأ بعناية كل ما يكتبه فيها كبار الكتاب حتى تكونت لي مَلَكَة عربية شجعتني على ترجمة رواية فرنسية بعنوان(رجوع الموجة) وكانت أول كتاب نشرته باللغة العربية. وفي هذه المدة كنت أتابع دروسي باللغة الألمانية والفرنسية والإنجليزية، ثم ترجمت رواية عن هجرة الفرنسيين إلى أميركا بعنوان(الحب في العذاب) و قد تقررت في برنامج المدارس الثانوية بعدئذ.

وأخذت أتابع الترجمة والكتابة فترجمت عن اللغة الألمانية رواية(غرام ألماني) نشرتها بعنوان (ابتسامات ودموع)، وفي سنة 1913 زارنا المرحوم الأستاذ سليم سركيس، ودعاني لألقاء خطاب جبران خليل جبران في حفلة تكريم خليل بك مطران فقبلت هذه الدعوة، وكانت أول مرة وقفت فيها فتاة عربية تتكلم باللغة العربية في حفلة رسمية. وبعد أن تلوت الخطبة ذيلتها بكلمة من عندي، لتحية المحتفل به فلقيت من الحاضرين تشجيعاً عظيماً . وبعد ذلك ابتدأ يجتمع عندنا شبه (صالون أدبي) كل يوم ثلاثاء مكث أعواماً تحت رئاسة المرحوم إسماعيل باشا صبري فاقتبست منه تهذيباً عربياً بما كان يلقى فيه أثناء الحديث باللغة العربية الفصحى.

وفي سنة 1914 أرادو أن يؤسسوا نادياً أدبياً مختلطاً من الشرقيين والغربيين. فـــدعيت إلى الاشتراك فيه، وكان بعض المجتمعين فيه من الوزراء السابقين ووزراء الدولة وقريناهم والعلماء والأدباء وكبار القوم. وفي هذا الاجتماع قال لي الأستاذ أحمد لطفي السّيد أثناء حديثه معي: لا بد لك يا آنسة، من تلاوة القرآن الكريم لكي تقتبسي من فصاحة أسلوبه وبلاغته، فقلت لـــه: لـــيس عندي نسخة من القرآن، فقال: أنا أهدي لك نسخة منه. وبعث لي به مـــع كتـــب أخـــرى ، فابتدأت أفهم اتجاه الأسلوب العربي وما في القرآن من روعة جذّابة ساعدتني على تنسيق كتابتي.

وفي خلال الحرب التحقت بالجامعةالمصرية، فكنت أدرس فيها تاريخ الفلسفة العامة وتاريخ الفلسفة العربية وعلم الأخلاق على المستشرق الإسباني الكونت دي جـــلارزا، وتـــاريخ الآداب العربية للشيخ محمد المهدي، وتاريخ الدول الإسلامية للشيخ محمد الخضري، إلى أن انتهت الحرب الكبرى، وقامت الحركة الوطنية المصرية. وهنا كانت يقظتي الأدبية الصحيحة، والخلق الجديد الذي أمدتني تلك الحركة بروحه.

ولما توفيت باحثة البادية أبّنتها بمقالة في (المحروسة) كان الناس يقرأونها والفقيدة العزيـــزة محمولة على الأعناق. فنقلها الدكتور صروف إلى المقتطف وطلب مني أن أكتب للمقتطف بحثاً فيما كانت تنادي به الفقيدة الراحلة. فكتبت عدة مقالات جمعتها في كتاب (باحثة البادية) وكـــان أول كتاب كتبته امرأة عربية باللغة العربية في امرأة عربية، وكان هذا أول مؤلف لي باللغة العربيـــة وأول كتاب في بابه باللغة العربية وقد صدر سنة 1920.

وعلى ذلك أستطيع أن أقول إن أهم ما أثر في مجرى حياتي الكتابية ثلاثة أشياء أولها النظر إلى جمال الطبيعة، والثاني القرآن الكريم بفصاحته وبلاغته الرائعة، والثالث الحركة الوطنيــــة الـــتي لولاها ما بلغت هذه السرعة في التطور الفكري.

دفاع أخير عن الحبر والورق

محمود الريماوي

كانت الكتابة توصف من قبل بأنها مداد قلم، في إشارة إلى المـــادة والأداة المســـتخدمتين، وكانت الكتابة الرديئة توصف بأنها (حبر على ورق) والقصد حبر مراق بلا طائل على ســـطح الورق.

وسائل الطباعة الحديثة، ألغت دور القلم رفيق الأدباء والكتاب، واستعمال الورق في سبيله إلى التقلص بعد أن أصبحت الشاشة المضاءة شاشة الحاسوب، بديلاً جزئياً عن الورق.

شيئاً فشيئاً يذهب مجد الأقلام، بأحجامها وألوانها (وموديلاتها) و لم يعدالقلم يصلح تمامـــاً كهدية جميلة ومعبرة وذات نفع.

و لم يعد للورق من مواصفات كالسابق، المسطور وغير المسطور، الأبيض والملون... من لا يذكر من أبناء العقد الرابع أو الخامس تلك المشاعر التي كان يثيرهـــا الـــورق ذو اللـــون الأزرق السماوي خاصة؟

أصبحت هناك مواصفات جديدة للورق: حجمه، ومدى نصاعة بياضه، ومـــدى صـــقل سطحه، كيما يكون ملائما لطابعات الحاسوب.

الأجيال الجديدة في المدن الكبيرة باتت تنظر إلى مواد وأدوات الكتابة نظرة عملية محايدة. إنها مجرد وسائل للاستخدام، تكون مفيدة وصالحة أو لا تكون. الجانب الجمالي يتراجع ويغيـــب. ومعه يضمحل الشعور بالنزعة الرومانطيقية للكتابة، وتحل بدلاً من ذلك قيم جديدة تتمثـــل في : الدقة، الاتقان، استغلال الوقت، الوضوح.

في الماضي الذي لم يبتعد كثيراً بعد – كان مجرد التفكير بكتابة رسالة على الطابعة (الآلة الكاتبة) يثير الحرج الشديد، بل يبدومعيباً . ذلك لأن الكتابة باليــد، كانــت تجّســد الاهتمــام الشخصي. في هذه الأيام أخذت الآية تنقلب. إذ لا تصح الكتابة بخط اليد، فقد لا تكون واضحة بما يكفي، مما يؤدي إلى إزعاج المتلقي وإضاعة وقت الطرف الآخر، وبدلاً من كتابة رسالة تشغل ثلاث صفحات، فإن الكتابة المطبوعة تمثل صحفة واحدة غير كاملة.

يكتب من يكتب هذه الأيام بأصبع واحد لكل يد، ويتسمع خلال ذلك للدق الرتيــب، صوت مثل هذا كان في الماضي، يثير الشعور بالضيق الشديد، الآن أصبح هذاالصوت جزءاً مــن إيقاع الكتابة التي أصبح لها صوت يرافقها. ومع هذاالصوت يتكيــف الجهازالعصــبي، وكــذلك الاستجابات الشعورية والذهنية.

لا تحمل هذه الملاحظات أية دعوة للتخلي عن استخدام التقنيات الحديثة، فهــذه لا مفــر منها للأجيال الجديدة، وقد وصل إلى بلادنا منها أقل القليل، اذ أنه لا يمكن مواكبة العصر بأدوات قديمة أوغير مواتية، علماً بأن شرائح واسعة ممن تعدوا مرحلة الشباب، تكيفت مع هــذه الأدوات، وباتت تستخدمها ببراعة وطلاقة كما هو الحال مع الأجيال الشابة.

ولكن المقصود من كل ما تقدم هو التأشير إلى عادات قديمة يتمسك بها أصحابها، ومنهم كاتب هذه الكلمات، وحتى الآن على الأقل. وشفاعتهم في ذلك أن الكتابة كما هــي حاجــة وممارسة ومهنة، فإنها كذلك صلة وثقى بالمزاج بالايقاع الداخلي النفسي والعصبي، وأن مجافاة هذا المزاج، تلحق بالكاتب عنتاً شديداً.

يقول الكاتب ملتمساً العزاء لنفسه في ذات نفسه: إذا كانت الكتابة هي كل ما تبقى لي من أهواء الحياة وفتنتها، فلأحتفظْ ما وسعني ذلك ببعض أجوائها وطقوسها. فأختار قلم حبر أسودأو أزرق بحبر جاف أو سائل وورقاً أبيض أو أقل بياضاَ. ومع احتشاد الرأس والقلب بالمشاعر والأخيلة والأفكار، فلتكن هناك فسحة ارتخاء بالاختيار الحر الشخصي للقلم والأوراق، وبالفعل اليدوي للكتابة، فكيف يروق للكاتب أن يكتب بيديه الاثنتين (علىالحاسوب) وقد أمضى سحابة عمره يحمل قلماً بين أصابع اليد الواحدة، ويخطط به علىالورق؟.

أجل إنها مرافعة يائسة ضد تقنيات العصر، وعزاء صاحبها أنه على قناعة بها حتى الآن، وبوسعه النجاة من أيحكم سلبي، لأنه يختصم مع نفسه ويحتكم عليها(5).

- استعن بالأسئلة التالية في تحليلك:

ما رأيك في طريقة الكاتب في تقسيم الفقرات؟

بين الأسلوب الذي اختاره الكاتب للتأثير في القارئ.

هل المقالة ممتعة أم مفيدة، أم تجمع بين المتعة والفائدة ؟ ولماذا؟

ما دور التجربة الإنسانية في بناء هذه المقالة؟

حلل طريقة الكاتب في استخدام اللغة وبناء الجمل، مع أمثلة كافية.

الكاتب محمود الريماوي ،يكتب القصة القصيرة، هل تلاحظ تأثيرات للكتابة القصصية في مقالته؟ بين ذلك مع الأمثلة من النص.

ما مدى الترابط والانسجام بين أجزاء المقالة وفقراتها؟

أسئلة جزئية:

أ–اقترح عنواناً آخر لهذه المقالة.

ب–لاحظ مواضع استخدام علامات الترقيم، وبين فائدة استخدام تلك العلامات.

ج–استخدام المفردات والتعابير التالية في جمل مفيدة (مستفيداً من طريقة اســـتخدامها في المقالة:

غَنت

نزعة روما نطيقية

مجافاة

احتشاد

مقالة (بلادة أم اتزان) للمازني

اقرأ المقالة التالية لإبراهيم عبد القادر المازني ، ثم قدم تحليلاً مناسباً لها في ضوء ما عرفته من صفات الكتابة الجيدة:

يجيء يوم في حياة الإنسان يُرزق فيه البلادة المريحة، وأعني بالبلادة انتفاء الحدة والعنف فيما يساور النفس من شعور ويدور بها من خوالج، فمطّة بوز هي كل ما يبديه من أسف على فائت، وهزة كتف خفيفة لا تكاد تلمح هي ما يقابل به الحوادث الجسام، والبرود أو الجمود هو ما يتلقى به الغمز والطعن والتشهير، والابتسام هو كل ما يبد من سروره.

زارني مرة صديق لا يزال على ارتفاع سنه فتى الروح يغلي في عروقه دم الشباب ودفع لي بصحيفة وقال أو هو يشير بأصبعه إلى موضع فيها وكأنه يشكه برمحاً: ألا ترد على هذا؟ فرفعت رأسي إليه ــ فإن قامته مديدة وأنا كما يعلم القراء، أو كما لا يعلمون قميء صغراً، وسألته: (ماذا؟) قال أوهو ينتفض كأن به حما: (هذا الشتم هذه القباحة! هذه السفالة! هذه؟...).

فاستوقفته بإشارة وقلت: حلمك! لقد شتمني بعضهم مرة في صحيفة كبيرة فقال عني (من فراش العار) وأضاف إلى زملائي جميعاً فقال عنا إننا (أبناء الزواني) فهل قال هذا ــ وأشرت إلى الصحيفة التي ألقاها على مكتبي ــ شراً من ذاك؟

فترك هذا وسألني: ألم تقتله؟ قلت : ياسيدي لو كنت أعلم أنه خالد لحاولت قتله، ولكنه فانٍ مثلي، فلماذا أجشم نفسي عناء باطلاً وأتكلف تحصيل الحاصل، وأتعاطى العبث والسخافة؟.

قال باشمئزاز: هذه فلسفة لا أفهمها... هه... من ضربك على خدك...

قلت: (لا) ليست هذه فلسفة ، وإنماهي بلادة ، ثم إني لا أدير للضارب خدي الآخـــر، وكل ما في الأمر أني لا أحس ما ظنه الضارب لطمة لي على خدي....

فصاح بي: كيف لا تحس؟ أيقول عنك أنك من فراش العار، وإنك ابن زانيـــة وتجـــيء وتزعم أنك لا تحس ولا تبالي؟.

قلت: حلمك مرة أخرى، إني أعرف أني لست من فراش العار، وأني لست ابن زانية، فما يشتمني به لا يغيّر ما أعرفه، ثم إنك تتوهم أن الناس يصدقون كل ما يذم به بعضهم بعضاً. وهـــذا غير صحيح. ولو أن الذي شتمني التزم القصد، وآثر الاعتدال فيما يرميني به لكان أخلـــق بـــأن يصدقة الناس ويقتنعون، ولكنه أسرف واشتط فأفسد على نفسه مرامه، فكلامه فيّ ينال منـــه ولا ينال مني. وقد أخجله ضني بنفسي على هذه الأوحال فاعتذر، فهل تدري ماذا قلت له؟ .

قال: لا أريد أن أسمع. يظهر أنك تحاول أن تقلد غاندي.. المهاتما غاندي؟ قالها بلهجـــة المتهكّم الزاري.

قلت: ولا هذا أيضاً. إن غاندي حي ــ مثلك ـــــ ولكن أساليبكما مختلفة. أما أنا فأهون ما اقوله في نفسي، أني أصبحت لا أطيق بعثرة القوة وتبديد الجهود في العبث الذي لا طائل تحته.

أصبحت بخيلاً مقتراً، أنفق حياتي بحساب دقيق، وأدخر كل ما يسعني ادخاره من القـــوة، وما زلت مسرفاً في إنفاق حياتي، ولكن فيما أحب أنا، وبإرادتي، لا بالشعور الدافع، وإنه ليحلو لي أن أسمي هذه بلادة، ولكنه قد يكون اتزاناً، وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء، ولا تخف ستراني يوماً أنقض على خصم فأمزقه إرباً إرباً، فما نفدت قوتي، ولا فقدت القدرة على استطابة أكل اللحم البشري، وما زلت ذلك الوحش القديم الذي يلذه أن يمزق لحم الفريسة، وأن يلغ في دمها، وإذا رأيتني أسطو على أحد، وأكر عليه وأصميه أو أعذبه تعذيب القط للفأر، فاعلم أني أفعل ذلك بإرادتي، لأن شعوري غلبني ، فما يغلبني شعوري في هذه الأيام، وعلمي بما أقدر عليه هـــو الـــذي يصدني عن هذه المهاترات الفارغة.

فقال : لقد تغيرت جداً.

قلت: إنك تذكرني بقول القائل:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عَزُّ لا يتغيَّر

نعم من ذا الذي لا يتغير؟ حتى الحجر! ومع ذلك من يدري)؟.

لقد كنت في صدر حياتي مدرساً، وكان بعض التلاميذ يحاولون أن يعابثوني، فكنت آخذ عليهم طريق العبث وأكتفي بذلك، وأستغني عن الاحتياج إلى عقابهم، وكنت أزعـــم أن هـــذه حكمة، والواقع أني ما عاقبت تلميذاً قط، في عشر سنين زاولت فيها التعليم، وكان الذي بيني وبين تلاميذي عامراً كل هذا الزمن، ولكني كنت أدير عيني في نفسي وأفحصها، وأغوص في أعماقها، أتبين أني أكره العقاب الخفيف، وأنه لا يرضيني ولا أن تكون الضربة قاصمة للظهر، لأني بطبعي

عنيف، ولما كان لا محل لضربة قاضية من أجل أن تلميذاً لاعبني أو مازحني،وهو لايريد شراً، وإنما تغريه بذلك طبيعة الصبى، فقد كنت أكبح نفسي وأردها عن الأذى، وأعمل بقول الشاعر:

توقي الداء خير من تصدٍ   لأيسره وإن قرب الطبيب.

نعم تغيرت، بمعنى أن بعض الطباع التي كانت تظهر وتخفتي فيما مضى، صـــارت أبـــرز وأقوى، فهي الآن السمة الغالبة والطابع الملحوظ.

هذه خلاصة ما حدثت به صديق، وقد قلت له كلاماً آخر كثيراً، نسيته، فقد طال بيننـــا الحوار، وتركني وهو غير مقتنع بصوابي، فلم أحفل بذلك . وماذا يضيرني ألا يقتنع؟ ولماذا أكلف نفسي تعب إقناعه؟ أنا الذي جربت مراراً كيف يخيب الأمل، ويذهب المسعى سدى؟.

وأويت إلى مكتبي في الليل، بعد أن نام البيت، وأُعفيت من ضجة الأطفـــال، وأخرســـت لسان الراديو الصاخب... وعلى ذكر الراديو أقول إن بنّي مثلي، يأكلون على ضوضاء الراديو، ولا يبدو عليهم أنهم يسمعون ما يصيح به، أو يبالونه ، ومن شابه أباه فما ظلم، وإني لأرجو أن يظلّوا مثلي، وألا يكترثوا لمن عسى أن يسبهم ويزعمهم (من فراش العار) في – حوار أدبي أو جـــدل سياسي ـــ ما علينا.

سألت نفسي لما خلوت بها: أهذا الذي صرت إليه اتزان أم بلادة؟ وصحة إدراك للقيمة الحقيقة للأشياء، أم فتور حتى عن محاولة الإدراك؟ وهل النار كامنة تحت هذا الرماد، أم هل خمدت وأنت تحسبها لاتحتاج إلى أكثر من التقليب؟ وهل يشي هذا بالقوة ، أويشي بالضعف؟ ومن اليأس هذا، أم من العلم والفهم الصحيح؟ وحال تدوم، أم عارض يزول؟.

وطال تفكيري في جواب هذه المسائل، و لم أنته إلى شيء تسكن إليه النفس، فنهضت وأنا أقول: ولماذا أعنّي نفسي بهذه المتعبات؟ وماذا أبالي على كل حال سواء أكان الأمـــر هكـــذا أم كذلك؟.

وأعجبتني (لا أبالي) هذه، فقد صارت عندي مخرجاً من كل ورطه' وباباً لتفريج كل أزمة في نفسي. ومن كان يسعه أن يقول ـــ ويكون على نحو ما يقول ـــ لا أبالي، فقد أوتي الراحـــة، ولا أقول السعادة فإنها خرافة.

لاحظ أن المازني استخدم طرائق عديدة في كتابته ومن ذلك:

الإفادة من الحياة الشعبية وتمثّل مواقف الحوار فيها، وأخذ بعض تعابيرها وألفالظهـــا ممـــا يقترب من الفصحى، و هذا يعطي مقالته كثيراً من الحيوية والحركة

استخدم المازني الأسلوب القصصي، فعبّر بواسطة أسلوب الحكاية والسّرد عن كـــثيرٍ ممـــا أراده، وبذلك تجنب الأسلوب الخبري المباشر إلى الطريقة القصصية التي تشتمل على قدر واسع من التشويق والحيويّة.

المازني كاتب ساخره بحيث استخدم هذا الأسلوب، من خلال طرائـــق عديـــدة في بنـــاء المفارقة، وفي صياغة تعابيره وجمله، أو رسم مشاهد كاريكاتورية ساخرة، تضحك القارئ و تنقل له قدراً من المعرفة والفائدة.

يمكن أن نلاحظ أيضاً تركيز المازني على الجمل المعترضة، التي تخلخل الجمل الطويلة وانسياب السرد، وتسهم في تقديم إيضاحات وتفصيلات، مثلما تسهم في تحريك النص، و ابعاد صفة الإملال عنه.

يستفيد المازني من الشعر والأمثال والأقوال السائرة، ويوظفها بمهارة وذكاء. كما في استعارته بيت (كثير عزة)

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عزّ لا يتغيرُّ

واقتباسه للمثل السائر((من شابه أباه فما ظلم)) وغير ذلك من توظيفات متنوعة.

وهذا الذي عمد إليه المازني مما يحّسن الكتابة، ويمدّها بكثير مما تحتاج إليه من الحيوية والثقافة والإفادة.

تلخيص المقالة، ومقالة التلخيص

تزداد حاجتنا إلى التلخيص ، مع ازدياد تعقد الحياة المعاصرة، وما تتسم به من سرعة وحركة، فالطالب يحتاج أن يلخص دروسه وما يطلب منه في المساقات المختلفة. ودور النشر تقدم ملخصات لمنشوراها في الصحف وعلى الشبكة العالمية (الإنترنت) ، والمدراء في مختلف المجالات لا وقت لديهم لقاءة نصوص طويلة مفصلة، وإنما يكتفون بقراءة ملخصات مكثفة تمكنهم من الإلمام بالمحتوى العام للمادة، وهذا يعني أن هذه المهارة مهمة في الحياة، ولا بد من إيلائها اهتماماً في مجال دراسة كتابة المقالة، لأن التلخيص عادة يأخذ الشكل المقالي، سواء أكان تلخيصاً لبحث أم دراسة أم كتاب مطوّل، كما أن المقالة نفسها يمكن أن تلخّص في عدد محدود من السطور دون الإخلال

بأفكارها الكبرى أو الرئيسة، ليكون الملخص دليلاً مختصراً نعود إليه كلما اقتضت الحاجة إلى مثـــل هذه العودة.

ويعرف (فائز الغول) فن التلخيص بأنه " تقرير موجز واضح في تعبير مترابط يحوي مادة تقرير مطوّل" أو أنه: " تأدية كلام سابق، منطوق أو مكتوب، بأقل من عباراته الأصلية مع الحرص على استيفاء جميع الفكر والأجزاء الرئيسة دون أن يفقد الكلام وحدته وتلاحم أجزائه، والاتجـــاه العام للقطعة الأصلية"(6) .

ويمكن تحديد مراحل التلخيص بصورة عملية كما يلي

القراءة الواعية التي تهدف إلى فهم النص المكتمل فهماً دقيقاً واعياً، وأثناء هـــذه القـــراءة يسجل المرء الأفكار الرئيسة التي ينبغي الاحتفاظ بها، ويحدد الأفكار الجزئية أو الثانوية التي يمكـــن التخلّي عنها.فالملخص يهدف إلى تقليل عدد الكلمات مع الاحتفاظ بالمعنى كما أراده الكاتب دون تغيير أوتحوير.

بعد تحديد الأفكار الرئيسة والأفكار الثانوية ،يتم التفكير في كيفية بناء روابط مناسبة للنص الجديد، بحيث لا تظل الجمل مفككة ، إذ يجب أن يشتمل التلخيص على عناصر الكتابة الجيـــدة، وهكذا يمكن البدء بكتابة (المسوّدة الأولى) وعندما يُفْرَغ منها، يجب إعادة القراءة مـــرة أخـــرى للاطمئنان إلى أن الملخص ليس فيه إخلال بالمعنى أو الأفكار الموجودة في النص الأصلي.

بعد عملية إعادة القراءة والمقارنة يضيف المرء أو يحذف حسب ما انتهى إليه نتيجة القراءة الثانية، استعداداً لكتابة الصورة النهائية ، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة (تحرير التلخيص).

كتابة النص النهائي للتلخيص، مع التأكد من العدد المطلوب للكلمات، ومراعاة عناصـــر الربط ومختلف شروط الكتابة، وكذلك اختيار عنوان موجز للتلخيص.

مراجعة الكتاب

وسواء أكان التلخيص لكتاب أم لمقالة، فإن مراحل التلخيص لا تتغير كثيراً إلا أنها تتحول من تلخيص فقرات محدودة، إلى تلخيص فصول أو أبواب أو صفحات كثيرة في حالـــة الكتـــاب، ويمكن الاعتماد على التبويب أو فهرست الكتاب لتبين الأقسام أو الأجزاء الكبرى في الكتاب، كي لا ينسى الملخص باباً أو فصلاً دون إشارة إلى مضمونه، ولكن الأمر يتعقد عندما يكون الكتـــاب رواية أو كتاباً غير مقسم أو مبوّب، فحينذاك فيضاف عبء آخر على من يقوم بهذه العملية، وهو اكتشاف الأفكار الرئيسة، وتقديم تبويب للكتاب للكشف عن أهم محاوره وأجزائه.

ويختلف حجم التلخيص وفق الحاجة، فإذا كان الملخص مطلوباً للنشر في مجلة أو جريدة، فإن الكاتب يراعي المساحات المخصصة لمثل هذه المراجعات، بغض النظر عن حجم الكتـــاب، أو كثرة الأفكار أو الأجزاء فيه. وقد يكون أكثر اختصاراً من ذلك، كما في نشرات الكتـــب الـــتي تصدرها دور النشر في الصحف أوعلى شبكة الإنترنت، فقد يكون المطلوب أن يلخص الكتاب في فقرة واحدة، أو سطور قليلة أو عدد محدد من الكلمات، وهذا كله يقتضي مهـــارة خاصـــة في الإيجاز الشديد والتكثيف، بحيث يتم اختيار عبارات شاملة تكثف معنى واسعاً في كلمات قليلة، ولا تتأتّى هذه المقدرة إلا من خلال التدريب المستمر على هذه العملية الهامة.

ويمكن إجمال طريقة عمل التلخيص (وفق ملاحظات فائز الغول) كما يلي:(7)

اجعل التلخيص بلغتك، أي أنك تستطيع أن تستخدم لغتك في التلخيص مع المحافظة على أفكار الكاتب، وعادة ما يكون الملخّص مبنياً على الدمج والتداخل بين لغة النص الأصلي ولغة من يقوم بهذه العملية.

ابقِ كل الحقائق والفِكَر الهامة، واخرج غيرها: كالاستطراد والتمثيل، والتكرار، والتشبيه، والتفصيل، ففي التلخيص نخرج كل ما يتصل بالايضاح والشرح ونكتفي بـــالمعنى الجـــوهري دون إسهاب أو أمثلة أوشروحات إضافية.

تقيد بالعدد المطلوب (من الكلمات) محافظاً على الوضوح والاستيفاء والترابط .

اقرأ القطعة الأصلية قراءة تدبر وإمعان، واختر لها عنواناً ملائما تجعله نصب عينيك مـــدة التلخيص.

أعد قراءة القطعة الأصلية ، مستعيناً بالقلم الرصاص على تحديد الأقسام الرئيسة والمقدمـــة والخاتمة وما بينهما، والأفكار الضرورية، وتعيين الجمل والكلمات التي تعتبر مفاتيح الفقرات.

سجّل على ورقة بألفاظك النقط الرئيسة في كل قسم.

أكتب مسوّدة تلخيصك مستعيناً بملاحظاتك ومسترشداً بالعنوان الذي اخترته دون رجوع إلى القطعة الأصلية.

راجع مسوّدتك متفحصاً،وتثبت من أنها وحدة مترابطة الأجزاء، واستوثق من أنها تعطـــي فكرة صحيحة عن الأصل بعدل وأمانة.

إذا كان من الضروري الاستشهاد بآية أو مثل فلينقل بنصه الحرفي.

بعد ذلك اكتب تلخيصك النهائي.

نماذج وتطبيقات على التلخيص

اقرأ المقالة التالية للكاتب جبران خليل جبران بعنوان (لكم لغتكم ولي لغتي) ثم قم بتلخيصها في حدود عشرة أسطر مركزاً على طبيعة اللغة التي اختارها جبران وأراده لإبداعه وكتابته.

لكم لغتكم ولي لغتي:

لكم من اللغة العربية ما شئتم ،ولي منها ما يوافق أفكاري وعواطفي. لكم منها الالفاظ وترتيبها، ولي منها ما تومئ إليه الألفاظ ولا تلمسه ويصبو إليه الترتيب ولا يبلغه.

لكم منها جثث محنطة باردة جامدة، تحسبونها الكل بالكل، ولي منها أجساد لا قيمة لها بذاتها، بل كل قيمتها بالروح التي تحلُّ فيها.

لكم منها محجة مقررة مقصودة، ولي منها واسطة متقلبة لا استكفي بها إلا إذا أوصلت ما يختبئ في قلبي إلى القلوب وما يجول في ضميري إلى الضمائر.

لكم منها قواعدها الحاتمة، و قوانينها اليابسة المحدودة، ولي منها نغمة أحوّل رناتها ونبراتها وقراراتها إلى ما تثبته رنَّةٌ في الفكر، ونبرةٌ في الميل، وقرارٌ في الحاسة.

لكم منها لقواميس والمعجمات والمطولات ، ولي منها ما غربلته الأذن وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة الناس في أفراحهم وأحزانهم.

لكم لغتكم ولي لغتي:

لكم منها العروض والتفاعيل والقوافي، وما يحشر فيها من جائز وغير جـــائز ، ولي منـــها جدول يتسارع مترنماً نحو الشاطئ ، فلا يدري ما إذا كان الوزن في الصخور التي تقف في ســـبيله، أم القافية في أوراق الخريف التي تسير معه.

لكم منها الشعراء الفحول الفطاحل، ومن صَدّرهم وشطرهم وخمّسهم وذيلهم وشرحهم، ولي منها ما يتمشى متهيباً خجلاً في قلوب الشعراء الذين لم ينظموا بيتاً و لم ينثروا سطراً.

لكم منها الرثاء والمديح والفخر والتهنئة، ولي منها ما يتكبر عن رثاء من مات وهـــو في الرحم، ويأبى مديح من يستوجب الاستهزاء، ويأنفُ من تهنئة من يستدعي الشفقة، ويترفع عـــن هجومن يستطيع الأعراض عنه، ويتنكف من الفخر إذ ليس في الإنسان ما يفاخر به سوى الإقـــرار بضعفه وجهله.

لكم لغتكم ولي لغتي:

لكم من لغتكم (البديع) و (البيان) و(المنطق) ولي من لغتي نظرة في عين المغلوب، ودمعة في جفن المشتاق، وابتسامة علىثغر المؤمن، وإشارة في يد السموح الحكيم.

لكم منها ما قاله سيبويه والأسود، وابن عقيل ومن جاء قبلهم وبعدهم مـــن المضـــجرين المملين، ولي منها ما تقوله الأم لطفلها، والمحبُّ لرفيقته والمتعبد لسكينة ليله.

لكم منها (الفصيح) دون (الركيك) و (البليغ) دون (المبتذل) ولي منـــها مـــا يتمتمـــه المستوحش وكله فصيح، ومايغَصّ به المتوجع وكله بليغ، وما يلثغ به المأخوذ وكله فصيح وبليغ.

لكم منها(البنيان المرصوص) ولي منها أسراب من الشحارير والبلابل تتطاير وتنتقل مرفرفة بين حقول الخيال ورياضه.

لكم منها(القلائد الفضية) ولي منها قطر الندى ، ورجع الصدى، وتلاعب النسيم بأوراق الحور والصفصاف.

لكم منها(الترصيع) و (التنزيل) و (التنميق) وكل ما وراء هذه البهلوانيات من التلفيق ، ولي منها كلام إذا قيل رفع السامع إلى ما وراء الكلام، وإذا كتب بسط أمام القـــارئ فُســـحاً في الأثير لا يحدها البيان.

لكم منها ماضيها وما كان في ماضيها من الامجاد والمفاخر، ولي منها حاضرها ومستقبلها بما في حاضرها من التأهب وماسيكون في مستقبلها من الحرية والاستقلال.

لكم لغتكم ولي لغتي:

لكم لغتكم عازفاً يتناولكم عوداً فيضرب عليكم أنغاماً تختارها أصابعه المتظلفة، ولي مـــن لغتي قيثارة أتناولها فأستخرج منها أغنية تحلم بها روحي وتذيعها أصابعي.

ولكم أن تسكبوا لغتكم بعضكم في مسامع بعض ليسرَّ ويعجب بعضكم بـــبعض، ولي أن أستودع لغتي عصفات الريح وأمواج البحر، فللريح آذان أشدّ غيرة على لغتي من آذانكم وللبحـــر قلب أربأ بها من قلوبكم.

ولكم أن تلقطوا ما يتناثر خرقاً من أثواب لغتكم، ولي أن أمزق بيدي كـــل عتيـــق بـــالٍ وأطرح على جانب الطريق كل ما يعيق مسيري نحو قمة الجبل.

ولكم أن تحنطوا ما يبتر من أعضائها المعتلة،وأن تحتفظوا

به في متاحف عقولكم، ولي أن أحرق بالنار كل مفصل مشلول.

لكم لغتكم ولي لغتي:

لكم لغتكم عجوزاً مقعدة، ولي لغتي صبية غارقة في بحر من أحلام شبابها.

وما عسى أن تصير إليه لغتكم وما أودعتموه لغتكم عندما يرفع الستار عـــن عجـــوزكم وصبيتي؟

أقول إنّ لغتكم ستصير إلى اللاشيء.

أقول إنّ السراج الذي جف زيته لن يضيء طويلاً.

أقول إنّ الحياة لا تتراجع إلى الوراء.

أقول إنّ أخشاب النعش لا تزهر ولا تثمر.

أقول لكم إنّ ما تحسبونه بياناً ليس بأكثر من عقم مزركش وسخافة مكلّسة.

أقول إنّ القيظ في نفوسكم يسيركم مرغمين إلى مستنقعات الكلم.

إقول إنّ الصلابة في قلوبكم تخضعكم إلىالرخاوة في ألسنتكم، والصـــغارة في خيـــالكم تبيعكم عبيداً من الثرثرة.

أقول لكم إنه لا ينتهي هذا الجيل إلا يقوم لكم من أبنائكم وأحفادكم قضاة وجلادون.

أقول لكم إنما الشاعر رسول يبلغ الروح الفرد ما أوحاه إليه الروح العام، فإن لم يكن هناك رسالة فليس هناك من شاعر.

وأقول إنما الكاتب محّدث صادق، فإن لم يكن هناك من حديث صحيح مقرون ثابت فليس هناك من كاتب.

أقول لكم إنّ النظم والنثر عاطفة وفكر وما زاد على ذلك فخيوط واهية وأسلاك متقطعة.

والآن وقد طلع الفجر ، أتحسبون أنني أشكو لغتكم لأبرّر لغتي؟ لا والذي جعلني ناراً ودخاناً بين عيونكم وأنوفكم.

إن الحياة لا ولن تحاول تبرئة نفسها أمام الموت ، والحقيقة لا ولن تشرح ذاتها لدى البُطل، والقوة لا ولن تقف أمام الضعف، لكم لغتكم ولي لغتي.

2) لخص المقالة التالية للكاتب (إلياس فركوح) في حدود أربعين كلمة، مع المحافظة على الفكرة الأساسية التي يناقشها الكاتب في مقالته.

عن الكتابة

عن التورط غير الجميل

ما الذي يدعو الكاتب لأن يكتب، وبالتحديد في مجال الأدب؟

إن سؤالاً كهذا، رغم بساطته الظاهرة ، إنما يكنز خلاصة ما نستطيع عبر قراءتها أن نقرأ الكتاب ذاته ــ خارج حدود نصه المعلن: وكذلك نستطيع الولوج إلى ذاك النص من نافذة جديدة.

أما فيما يتعلق بي، فلست من الذين يميلون إلى صرف "الكلام الخاص" ليصبَ باتجاه الأحاديث المنشغلة بمحاولات بائسة- وربما يائسة أيضاً- من أجل نتف ريش القضايا الكبرى(سياسية، مصيرية، اجتماعية...الخ) وإلصاقها بكل مسلك فردي خاص. تلك المشاهد الأشبه بتمثيل ميلودرامي مسطح والمتضمنة في بعض من تصريحات البعض من الكتاَب.... للأسف.

ولأن الكتابة الإبداعية الفنية لا تتعدى، لحظة الانشغال الحميم بتشكيلها، ذاك المدار بالغ الخصوصية بكاتبها؛ فإني أزعم أنها مسلك فردي خالص. أي أنها تنحصر في حدود الكاتب الفرد، بكل ما تحتويه هذه الحدود من عناصر مختلفة، وهي مجلوبة أصلاً من الواقع بحكم العيش، ومتأتية نتيجة تفاعله معها كذلك.

إذن نحن الآن، عند كلامنا على الكتابة، إنما نحاول فهم مسلك يقوم به فرد كواحد من جملة مسلكياته الأخرى: مسلك غير منفصل إطلاقاً عن تركيبته العامة بكل مواضعاتها المرئية للغير،

وتلك المتوارية وراء النص تطلبُ منّا قراءها. والمسلكيات، باعتقادي، أشكال تتفاوت في قـــدرها على التعبير عن صاحبها. انها اقترابُ حثيث من التعبير عمّا هو جوهري فينا، بالقدر الذي تكـــون فيه، في الآن، صورة من صور تفاعلنا مع الآخر ومع المحيط الإجتماعي الذي نتحرك في إطاره... أو أطره بالأخرى.

وهكذا، وإذا ما أخذنا الكتابة على أنها شكل أو مسلك فردي للتعبير؛ فإننـــا ســـوف نخلص إلى خصوصيتها النابعة من خصوصية كاتبها. آي: هي واحدة من تجليات شخصيته المعـــبرة عنه أكثر مما هي معبّرة عن سواه مما يقع خارجه. لكنه ليس فرداً بلا ذاكرة. الكاتب ليس شخصاً مقطوع الصلات والأواصر مع كائنات العالم وأشيائه. ففي كتاباته تنكشف رؤيته لذلك كله، أنها- وهذا في غاية الأهمية- تكشفه هو في لحظة تعبيرية خاصة ضمن مسلك تخطاه كفردِ تعامـــل مـــع الأوراق؛ إذ بات يؤخذ ك "كلام خاص" عبر الأحاديث العامة التي تتناول ما قام بنشره إثر الكتابة.

عند هذه النقطة ينبغي التوقف قليلاً.

يقع في وهم بعض الكتاب، فيما أرى، أن نصوصهم المفسرة من قبل السائد من"النقد؟" المشغول بتأويل الخاص لينوب متحدثاً عن العام، بأنهم إنما يكتبون حقاً هكذا، ويتوطون مـــن ثم في هذه اللعبة. يتورطون ليجاروا سياق المطلوب الساخن من القضايا الملحة، ولكي يحـــافظون علـــى قناعتهم بانخراطهم فيها وعدم تخليهم عن دورهم حيالها...فيحيلون"كلامهـــم الخـــاص- الكتابـــة الإبداعية بشروطها الفنية"إلى موضوع من موضوعات الأحاديث العامة- الإنهماك في تبادل التخاطر حول الأزمات والقضايا الكبرى.

بذا، ومع الزمن الحافل بتكرار الوهم وتكريسه بمراكمته، نرى كيف يمكن أن تكون بعض الإجابات قد تزينت بالتالي:(أكتب كي أعبرعن روح الشعب) مثلاً، أو(الكتابة مساهمة نضالية في خدمة الجماهير)..الخ.

ربما يتحلى المثلان من الإجاتات بشيء من التبسيط والرسم الكاريكاتيري.. لكنهما في اعتقادي يختزلان كُلاً من تراجيدية وكوميدية التصريحات الحاوية لهذا الفهم...أو "التورط غير الجميل "

كما أرى أن الإنجرار باتجاه " نطق" الإجابات الممثلة لهكذا فهم يشكل انحرافاً في استيعاب دور الكاتب. هو خطوة ستقود إلى قلب لدوره الفاعل في بلورة وعي وذائقة على المستوى الفني لمعاينة الواقع، إلى مُرددِ كتابي لواحدة من الطروحات السائدة أو لغيرها- لا فرق- إن ذلك لا ينفي وجود توفر قناعة وإعتقاد ما لدى الكاتب، لكنها ليست مبرر الكتابة في الأساس.ت

باختصار: الكتابة، بالنسبة لي، شكل تعبيري أحاول من خلاله أن أتواصل مع نفسي بمحاورتها- في حدود ما أملك من رؤى واجتهاد- وهذا ما أقصده ب "الكلام الخاص" وهي إثر ذلك، مسلك فردي أتصل عبره مع الآخرين- القراء، محققاً به أحد جوانب شخصيتي.. ككائن اجتماعي.

الباب الثالث

تحليل المقالة

- خطوات تحليل المقالة
- تحليل مقالة لأمين الريحاني
- تحليل مقالة للمازني
- تحليل مقالة لشكيب أرسلان

الباب الثالث

تحليل المقالة

خطوات تحليل المقالة :

تحتاج دراسة المقالة دراسة تطبيقية إلى القدرة على تحليل المقالة وتقييمها. ولكي يتحقق ذلك فيمكن اقتراح الخطوات التالية لتحليل المقالة:

أولا: تحديد معنى المقالة وهدفها وذلك بـ :

- معرفة الفكرة الرئيسية للمقالة، ويمكن أن تكون:

محددة في الأسطر الأولى من المقالة.

محددة في الأسطر الأخيرة في المقالة.

محددة في العنوان.

غير محددة، ولكنها متضمنة في ثنايا المقال.

ثانيا: تحديد طبيعة المقالة وذلك بمعرفة:

أ- هل هي ذاتية أم موضوعية أم هل هي خليط بينهما؟

ب- هل هي أدبية أم علمية؟

ج- هل هي تفسيرية أم وصفية أم جدلية؟

ثالثاً: تحديد أسلوب الكاتب وذلك بمعرفة:

أ- بنية المقالة وأسلوب تنظيمها.

كيف كانت المقدمة.

أين يبتدئ نمو الفكرة؟

ماذا يستنتج الكاتب؟

ب- خصائص أسلوب الكاتب بحيث نتعرف على:

العناصر البلاغية التي استخدمها الكاتب من استعارات وتشبيهات وصور... الخ.

بناء الجمل التي استخدمها وتنوعها من حيث: الطول والقصـــر، واســـتخدام المفـــردات، وسلامة التركيب النحوي والإملائي الخ...

عاطفة الكاتب والتعبير عنها بإسلوب ساخر، أو غاضب، أو مرح ، أو متفائل أو متشائم.. الخ.

أسلوبه في التعبير عن أفكاره، هل هو منطقي أم غير منطقي؟

رابعاً: النتيجة:

في هذا القسم يجب أن يتم تلخيص تقييمنا للمقالة، بحيث يشمل ما يلي:

1. وضوح الفكرة الأساسية.

2. وحدة بناء المقالة وحسن تنظيمها.

3. هل أسلوب المقالة المستخدم كان مؤثراً إذا كانت المقالة ذاتية، أو هل المقالة مقنعة إذا كانت جدلية أو علمية.... الخ.

مستوى هذه المقالة.

ويرى sylvan Barnet أن هناك مجموعة من الأسئلة، على المرء أن يسألها لنفسه عند كتابة المقالة، وهي تصلح كمرشد للكتابة، وتساعد كذلك في التقييم ، وتتمثل فيما يلي:

هل عنوان المقالة ملائم أو على الأقل مثير للانتباه؟

ما هي الفكرة الأساسية، هل تم عرضها بشكل مكبر وتم الإبقاء عليها أمام النظر.

هل تنظيم المقالة معقول؟ وهل تقود كل نقطة فيها إلى تاليتها دون أن تكون غير ذات صلة؟

وهل كل فقرة مترابطة بجملة أو فكرة أساسية؟ وهل هناك انتقال ملائم من فقرة إلى تاليتها؟

هل التعميمات مدّعمة بتفصيلات موثوقة، وباقتباسات دقيقة موثوقة؟

هل الفقرة الافتتاحية مشوقة، وهل التركيز في نهايتها على الموضوع ؟

هل فقرة الختام استنتاجية دون أن تكون تكراراً؟

هل الأسلوب ملائم؟

هل الجمل مركزة واضحة وتم الاستغناء فيها عن الكلمات غير الضرورية؟

هل الإملاء والترقيم صحيحان؟

أسئلة التقويم الذاتي

1- وضّح عناصر تحديد معنى المقالة وهدفها.

2- اذكر العناصر الضرورية لتقييم أسلوب الكاتب.

ما أسس تحديد طبيعة المقالة.

نشاط:

اختر مقالة من كتاب (النظرات) لمصطفى لطفي المنفلوطي، وقم بتحليلها بناء على الخطوات التي درستها لتحليل المقالة.

(1) مقالة الكتاب لـ أمين الريحاني

يقال إن الكتّاب نوعان، نوع يكتب ليعيش ونوع يعيش ليكتب،وقد فات من قال هذا القول أن هناك كاتباً آخر يستحق أن يرفع فوق الاثنين إلا وهو الكاتب الذي يعيش ويكتب.

والفرق بينه وبين كتاب ذينك النوعين طفيف في الظاهر، هو قائم بحرف العطف الصغير ولكنه في الواقع عظيم وجدير بالاعتبار. ولا بأس من التفصيل وإن أدى ذلك إلى التطويل.

لا حاجة للقول إن مَنْ يكتب ليعيش لا يكتب شيئاً يذكر فيؤثر. هو كاتب مأجور يحرك اليراع كيفما شاء السيد. هو حوذي الأدب يعلق على عربة علمه تعرفة الحكومة، ويسوق القلـــم كيفما شاء الراكب وإلى حيث شاء.

وقد تقرر عند الإفرنج مقام هؤلاء من طبقة المؤلفين وأرباب الأدب. وأكثرهم ممن ينشئون الجرائد ويراسلونها فيمارسون صناعة الكتابة زمناً طويلاً دون أن يتعدى اسم الواحد منهم إدارة الجريدة المستخدم فيهـــا. وإذا تكلم الناس هنالك في الصحافي مثلاً يتكلمون في التاجر أو الإسكافي أو الفلاح أو الصـــراف. فيحصـــرون الحديث في الأرباح والخسائر في عدد المشتركين والمعلنين وقلما يذكرون الكاتب أو المدير أو المراسل.

وقد ينشأ من هذه الفصيلة الكبيرة فصيلة أخرى ممتازة باسمها الجليل ومعروفة على الأقـــل بين المؤلفين أن لم تكن مكرمة ومحبوبة عندهم إلا وهي فصيلة الجهابذة الناقدين. أولئـــك الـــذين ينظرون بالكتب الجديدة التي تصدرها المطابع دون انقطاع فينتقدون ويماحكون ويغالطون، وهـــم قلما يقرظون ويمدحون. نعم الناقد كاتب مجهول يقصر عن التصنيف فيقضي حياته الكتابيـــة في انتقاد التأليف الجديدة. وقلما يشتهر فرد من أفراد هذه القبيلة الغازية الضاربة على تخـــوم الآداب خيامها. وقلما يكون لها قائد أو شيخ أو أمير. فكلهم في الميدان سواء (كل إذا عد الرجال مقدم) ولكن مع كل ما يحدثونه من القرقعة والجلبة ومع ما يجيء في طعنهم الشديد من النقد الســـديد لا يعدون من طبقة الكتاب والمصنفين. هم ممن يكتبون ليعيشوا. هم ممن يعلقون على باب مكتبـــهم التعرفة الرسمية.

وأما الطبقة الثانية من الكتاب ــ أولئك الذين يعيشون ليكتبوا ــ فقد تكبر الفائدة في تآليفهم وتصغر بقدر ما يعيش الواحد منهم تقريباً من الحياة البشرية والطبيعية المتحركة الساكنة. فالذي يعيش في مكتبه أبداً ويؤلف بين الكتب والأوراق والمحابر بعيداً عن حركة الحياة ومظاهرها يصنف، ولا شك، كثيراً ولكنه لا يعيش حقاً. وقد يسقط في كثرة تآليفه سقطة الكاتب الأول في مقالاته المأجورة. الذكاء شيء نادر يا صديقي ومتى وهبت منه الطبيعة أحد بنيها فبالدرهم والقيراط. وأكثر المؤلفين المشهورين أفرغوا كل ما أتوه من الذكاء في كتاب أو كتابين من كتبهم العديدة، وما سوى ذلك يعدُّ من طبقة الكتابة التي يكتبها ذوو التعرفة الرسمية.

عندك من الكتاب الأميركان من يضطر أن يؤلف كل سنة رواية أو روايتين حتى يظل اسمه يردد في أفواه الشعب ويتمثل في أنظارهم. فلا ينساه إذ ذاك القراء ولا تخسر الشركة في طبع تآليفه. فالكاتب الذي يضطر أن يؤلف على التوالي بلا انقطاع ليظل مذكوراً معروفاً لا يجيء غالباً إلا بسقط المتاع وإذا كتب شيئاً نفيساً يكون ذلك منه اتفاقاً وكبيضة الديك. ولا تستحسن إلا كتاباً واحداً من بين تآليفه كلها التي تعد بالعشرات. وبين هذا المؤلف الذي يعيش ليكتب وذاك الذي يسود المقالات ليعيش شيء من النسبة والقرابة فكلاهما يكتب ما يُنسى بعد القراءة الأولى، كلاهما أسير قلم يمارس الكتابة والتأليف كما يمارس التاجر تجارته والدباغ صناعته والفلاح حراثته،فمن من هؤلاء كلهم يتفرغ مثلاً للذات العقلية أو التأملات الروحية أو إلى حقول الحياة ورياضها ولو مرة في الأسبوع أو في الشهر. من منهم يخرج إلى الطبيعة ليقرأ في كتابها النفيس الفريد ولو صفحة كل يوم أو صفحتين.

من يكتب ليعيش إذن يعيش ولا يكتب. ومن يعيش ليكتب يكتـــب ولا يعـــيش، وأمـــا الثالث فيقسم وقته تقسيماً حكيماً ويعطي منه للطبيعة وللحياة وللأدب. إنه يعيش حيـــاة عقليـــة وروحية وجسدية معاً في حين يعيش الآخران عيشة ناقصة ناشفة أحدهما مادي والآخـــر عقلـــي وكلاهما بعيدان عن العنصر الروحي العلمي الذي يجب أن يسود في كل ما نكتبه اليوم.

الكاتب الثالث، الكاتب الذي يعيش ويكتب لا يصنف تصانيف فكتور هوغو أو فلتر ولا يعيش عيشة فرلاين أو أديب إسحق، هو لا يكتب إلا في ساعة الإلهام والوحي. خذ لك مثلاً قريباً يشرح رأيي هذا شرحاً جليا. تعال نقابل أيها الأديب بين فولتير وروسو أو بين هوغو وهيني. فكم صنف فولتير وكم ألف. كم سوَّد من المقالات ونظم من ا لقصائد وكتب من الرسائل. وبما أنه لم يخرج قط في حياته الخاصة عن الرسميات والتكلف جاء ما كتبه في الموضوعات الاجتماعية ناقصـــاً ففولتير الكثير التآليف لم يختبر العالم مثل روسو والقليل الذي كتبه هذا يوازي الكثير الذي صـــنفه ذاك. من منا يذكر اليوم من تآليف فولتير التي لا تحصى سوى رسائله وبعض رواياته. وأما روسو فأكثر الذي كتبه يقرأ حتى في زماننا الحاضر. ومن لا يقرأ (الاعترافـــات) أو (إميـــل) أو (العقـــد الاجتماعي) اليوم على نحو ما كان يقرأها أبناء القرن الثامن عشر على عهد الثورة؟.

عاش روسو الفيلسوف عيشة طبيعية بعيداً عن الرسميات والتصنع، وسقط في خروجه عن المألوف، سقطات عديدة و لم يكتب ما كتبه إلا بعد الاختبار والتأثر، و لم يؤلف كتبه الشـــهيرة إلا بعد أن قاسى ألوان العذاب واضطهد أشد الاضطهاد. وأما فولتير الخفيف الروح الواسع الاطـــلاع الطويل الباع الذي بزّ زملاءه ذكاءً ودهاءً فعاش غالباً في مكتبته بين المحابر والأوراق، عاش بعيـــداً عن الشعب كما يعيش الأمير أو الملك وإذا خرج مرة فإلى بيوت الأشراف وقصور الملوك. وهكذا

ألف ما ألفه وفي نفسه من تأثير هذين الوسطين شيء كثير. ومثل هذه المقارنة يصح إطلاقها على هوغو والشاعر الألماني هيني. وكنت أود لو اذكر كتابنا عوضاً من هؤلاء الإفرنج فعندنا اليوم من المؤلفين من يصح بين بعضهم مثل هذا التنظير، ولكن ماذا يمكنني أن أقول وأنا لم أزل أردد حديث النبي الذي قرأته البارحة: (ما أتى الله أحداً علماً إلا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا).

لنقسم الكتاب تقسيماً آخر إذن. لنقل إن الكتاب قسمان. أحدهما يكتب ليرضي الناس والآخر ليرضي نفسه. الأول يكتم علمه حباً بكيسه والآخر يبثه حباً بأدبه. فالذي يكتب ليرضي الناس يحتاج إلى معرفة قرائه وما نشأوا عليه من التهذيب والأخلاق ولا يهمه إن اختلفت مذاهبهم وتباينت مزاياهم وتضاربت أذواقهم فهو يجاريهم على ما يشاؤون، ويخوض عباب البحر جارياً مع الأمواج سائراً مع التيار العام. ومعظم ما ينبغي له درسه ينحصر في أحوال قرائه المدنية والاجتماعية وأذواقهم الفطرية، فيكتب ما يلائم ذلك ويبسم ساخراً وهو يسوق بين التهكم والمجون يراعه.

هذا إذا كان عالماً خبيثاً. وأما إذا كان غراً غبياً فيقول قوله معتقداً أن الحق معه لا مع سواه.

ثم يرفع حاجبيه ويصعر خديه ويقول في نفسه معجباً: حقاً إن المرء بأصغريه. أما العالم الحقيقي والكاتب المخلص المستقيم الذي يكتب ليرضي نفسه أولاً فهو يحتاج من المطالعة إلى أوسعها ومن الدرس إلى أكثره ومن البحث والتنقيب إلى أدقهما ومن الجرأة الأدبية إلى أشدها. الأول يتذلل لهذا البيك ويتملق لذاك الباشا ويجامل هذا المطران ويطنب في مديح ذاك الأمير ويثني على كل ذي سلطة وسؤدد عادلاً كان أو ظالماً، عالماً أو جاهلاً، طيباً أو خبيثاً. رفيعاً أو دنيئاً. والثاني يحافظ على كرامة الأدب ليعزز ما عنده من العلم ويبثه دون مراوغة ومحاباة فلا يقال عنه إذ

ذاك هو عالم ولكنه جبان. فمثل هذا الكاتب يبدي آراءه سخط القراء أم رضوا. هو لا يكتم علمه أحداً. هو لا يبعد الحقيقة عن الناس ولا يبعد الناس عن الحقيقة. الكاتب الأول ينقض بأعماله ما اكتسبه من العلوم إذا كان مكتسباً شيئاً ويمسي بعد ذلك كعامة الناس فيقف أمامهم لا ليفيهم ولا ليساعدهم على تحسين حالهم بل ليسلك مسلكهم في كل الأمور ويقتفي أثرهم. والكاتب الثاني يدرس أحوال الأمة متأملاً ويبحث في أخلاق الناس المتباينة فيفيد إذا كتب ويصدق إذا انتقد. الأول مسؤول عما يكتبه لجيبه فقط والثاني مسؤول لضميره. والعالم الذي يكتم ما يعلمه خشية أن تكدر القراء أقواله هو كالطبيب الذي يحجم عن العملية خوفاً من أن يؤلم المريض. أو هو كالقاضي الذي لا يرشد المذنب ويوبخه خشية أن يكدر خاطره الكريم. فما أجمل ما روي عن النبي في حديث:

((ما أتى الله أحداً علماً إلا أخذ عليه الميثاق إن لا يكتمه أحداً)) ما أقبح وأسخف ما يقوله أولئك المحافظون والمنقادون إلى الذوق العام الفاسد. فإذا قرأوا مقالة فيها شيء من الآراء الجديدة يمتعضون ويشمخون ويزدرون صاحبها قائلين: إن هذا لا يوافق القوم ولا يلائم أذواقهم ومشاربهم. فلهؤلاء ولمثلهم أقول: كيف يتسنى لكم إصلاح الذوق العام الفاسد إذا كنتم في كتاباتكم لا تقولون ما يكدر ولا تبدون رأياً جارحاً ولا تنتقدون انتقاداً صحيحاً. إذا كنتم تنوون أن تجلعوا الذوق العام قياساً عاماً لكل ما تكتبونه فخير لكم أن تتنحوا وتتركوا القول للشعب. فهو يزيدكم في المجاملة علماً ويثبت فيكم ما ألفتموه من حب الملاطفة ومراعاة الخواطر.

الكاتب الحر هو العالم الحقيقي الذي يضع أمام الناس نتائج علمه وثمار بحثه ودروسه فيفيد الأمة بجميع مظاهرها مع محافظته على كرامة العلم وحرمة الأدب. هو يقول قوله وإن كان ذلك

معاكساً لميل العامة ومخالفاً لأذواق الأفراد وأهواء ذوي السيادة. . من كتب للمستقبل لا يجـــازى على عمله في الحاضر، ومن كتب للحاضر فلا يبقى له ذكر في المستقبل. ويجدر بنا التمثل والعمل بقول من قال:

((جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية ومن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله)).

وبكلمة أوضح: الكاتب الذي يكتب مرضاة للقوم والكاتب الذي يكتب مرضاة للحقيقة ــــ لا تقاطعني فقد انتهيت أتعرف ما الفرق بين الاثنين؟ الأول: هو الثمر من البلح والثاني هو النواة. فكل الأول هنيئاً ولكن اعلم – رعاك الله – بأن النواة التي تنبذها خارجاً تخرق الأرض وتتواري تحت التراب إلى حين، ثم يسوق الله إليها سحاباً فيسيل ماء فيحييها بعد موتها، فتبزغ وتنمو ويكبر ظلها ويأكل من ثمارها أعقابك و أحفادك وبنوك.

مقالة الكُتّاب لأمين الريحاني

دراسة تطبيقية

أولا: إلى ماذا تهدف المقالة:

تهدف هذه المقالة إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من الكُتاب، الكاتب الذي يكتب ليعيش، والكاتب الذي يعيش ليكتب، والكاتب الذي يعيش ويكتب، ليبرز من خلال هذا التمييز الدور الذي يقوم به الكاتب المخلص المستقيم الحر والمسؤولية التي يتحمل عبئها في قول الحقيقة دون مراوغة أو محاباة.

وقد أوضح الكاتب أن النوع الأول الذي يكتب ليعيش إنما هو كاتب مأجور لا يكتب شيئاً فيذكر، ومن أمثلة هؤلاء كُتاب الصحف ومراسلوها وكذلك ناقدو الكتب في الصحف.

أما النوع الثاني من الكتّاب الذين يعيشون ليكتبوا فإن تآليفهم تكبر فائدتها أوتقل تبعاً لالتصاق الكاتب بالحياة. ولذلك فالذي يعيش بين الكتب ليؤلف لا يعيش.

ويرى الكاتب أن هناك صلة بين النوعين الأول والثاني إذ أن (كلاهما يكتب ما يُنسى بعد القراءة الأولى، وكلاهما أسير قلم يمارس الكتابة والتأليف كما يمارس التاجر تجارته والدباغ صناعته والفلاح حراثته).

وأما النوع الثالث فقد اعتبره هو الأمثل، لأنه يقسم وقته تقسيماً حكيماً متوازياً بين الأدب والطبيعة والحياة.

ولذا فإنه يعيش حياة عقلية وروحية وجسدية معاً في حين يعيش الآخران عيشة ناقصة ناشفة، أحدهما مادي والآخر عقلي.

وبعد أن يقنعنا بهذا التقسيم ينتقل إلى تقسيم آخر.

1- النوع الأول: الكاتب الذي يكتب ليرضي الناس، وهو الذي يكتم علمه حباً بكيسه، وهو كاتب متذلل متملّق مدّاح.

2- النوع الثاني: الذي يكتب ليرضي نفسه ، وهو العالم الحقيقي والكاتب المخلص الذي يحافظ على كرامة الأدب ليعز ما عنده من العلم.

ثانياً: طبيعة المقالة:

يُزاوج الكاتب في مقالته الأدبية هذه بين النمطين التفسيري: والجدلي، فبينما هو يقدم لنا تفسيراته لمفهوم كل نمط من أنماط الكُتّاب الثلاثة، فإنه يجادل حول كل نمط ضارباً الأمثلة التي تدعم وجهة نظره، فكُتّاب الطبقة الثاني مثلهم مثل الكُتّاب الأمريكان الذين منهم (من يضطر أن يؤلف كل سنة رواية أو روايتين حتى يظل اسمه يردد في أفواه الشعب ويتمثل في أنظارهم...) والنوع الثالث مثله مثل روسو (فأكثر الذي كتبه يقرأ حتى في زماننا الحاضر)

ونلاحظ أن الكاتب حاول أن يثبت وجهة نظره بأمثلة من تجارب كُتّاب آخرين، ومسترشداً بالمثل والحديث النبوي الشريف ليكون مقنعاً في محاجتّه هذه.

ثالثاً: أسلوب الكاتب:

يتمثل تنظيم المقالة بأسلوب يتطابق مع نموذج بناء المقالة، فقد كانت المقدمة واضحة الهدف لبيان ضرورة التفريق بين ثلاثة أنواع من الكُتاب هم كاتب يكتب ليعيش وكاتب يعيش

ليكتب وكاتب يعيش ويكتب. ويقوم الكاتب في فقرات متتالية بعرض حججه في كل نوع، وقــد فصل فأطال في التعريف في بعض الأنواع واعترف الكاتب بذلك إذا قال (ولا بأس من التفصــيل وإن أدى إلى التطويل).

ويبتدئ نمو الفكرة الأساسية من السطر الثاني للمقدمة حيث يقول (وقد فات من قال هذا القول أن هناك كاتباً آخر يستحق أن يرفع فوق الاثنين ألا وهو الكاتب الذي يعيش ويكتب).

ومن خلال عرض الكاتب لأنواع الكُتاب الثلاثة وضرب الأمثلة على كل نــوع، فإنــه يخلص في خاتمته إلى الحاجة لتقسيم الكتاب إلى قسمين جديدين، وهما: كاتب يكتــب ليرضــي الناس، وكاتب يكتب ليرضى نفسه وهو الكاتب الحر والعالم الحقيقي الذي يكتب مرضاة للحقيقة. ويشبه الأول بالثمر من البلح والثاني بالنواة. وفي كلاهما فائدة مختلفة وكما يقول الريحاني(فكــل الأول هنيئاً،ولكن اعلم رعاك – الله ـــ بأن النواة التي تنبذها خارجاً تخرق الأرض وتتوارى تحــت التراب إلى حين، ثم يسوق الله إليها سحباً فيسيل ماء فيحييها بعد موهّا، فتبزغ وتنمو ويكبر ظلها ويأكل من ثمارها أعقابك وأحفادك وبنوك.

لقد كان الكاتب منطقياً في التعبير عن أفكاره، وساعده في ذلك إيراد الأمثلة في تصــنيف أنواع الكتاب.

وامتازت الجمل التي استخدمها بالطول والجمل المعترضة ومع ذلك كانت واضحة معبرة عن المعاني والأفكار.

رابعاً: النتيجة:

كانت الفكرة الأساسية التي تقوم عليها المقالة واضحة، ويمكننا القول إنه على الرغم من أن هذه المقالة كتبت في مطلع هذا القرن، إلا أنها تتمثل بأسلوب يحافظ على بناء المقالة إلى حد كبير، وقد نجح الكاتب في عرض حججه فيما يتعلق بإيضاح الفروق بين الأنواع الثلاثة من الكتاب.

ولعل المأخذ الأساسي على هذه المقالة أنه بدأها بالحديث عن ثلاثة أنواع من الكتاب، وختمها بالحديث عن تقسيم آخر لنوعين من الكتاب. وكذلك فإن علامات الترقيم في هذه المقالة تحتاج إلى عناية أكبر، ولا يمكننا هنا أن نضع الملامة على الكاتب لأن النص المطبوع ليس مسؤولية المؤلف الذي قضى نحبه قبل عقود طويلة من طباعته. إن مقالة الكتاب مقالة ناجحة في توصيل الفكرة الأساسية التي أراد الكاتب إيرادها وكانت فقرة الختام استنتاجية، وكان موفقاً بها إذ لمعت الفكرة دون أن تكون تكراراً لما ذكره الكاتب في مقالته.

(2) الكتب والخلود لإبراهيم المازني

ماذا يصنع أحدنا إذا قدمت له صحفة فيها طعام هذا أول عهده به؟ قد يكون هذا اللـــون الجديد الذي يطاف به عليه أشهى ما ذاق أو يذوق في حياته.

ولكن جهله به حقيق أن يكون مدعاة للتهيب فتراه يود لو سمع من إنسان كيف طعمه؟ وما هو؟ ومن أي شيء ركب؟ ليطمئن ويقبل عليه آمناً واثقاً من التذاذه، جامعاً بين متعة الخيـــال وحسن الحقيقة. ثم هو ـــ حتى بعد أن يسمع ما ينفي قلقه – لا يملك إلا أن ينظر إليه ويحدق فيـــه من قريب ومن بعيد. ويمد إليه يده، ولكن في إشفاق. ولا يتناول ويأكل كما يفعل المجرب العارف بما ينتظر، بل يقلّبه ويقدم ويؤخر ، فعل الفاحص المتقصي ، ويحمل إلى فمه اليسير من هنا وههنا في

حذر وأناة ، ويحرص أن لا يتجاوز النزر الذي لا يملأ الفم، ثم يلوكه ويتذوقـــه، وعينـــه ثابتـــة الحملاق، و على وجهه سمات التفكير، حتى إذا اطمأن مضى.

كذلك أراني مع الجديد من الكتب، أخشى التغثية وأخاف إضاعة الوقت فيما لا طائـــل تحته ولا محصول وراءه، أو فيما هو شر من ذلك. ولو أني لم أكن قرأت شيئا لما تهيبت جديداً، ولا أشفقت أن يفسد علي لذة قديمة أفدتها، ولكن إلفي للجيد من براعات الكتاب والشعراء يـــدفعني إلى الضن بها أن أنغص على نفسي متعتها بهذا الجديد الذي لا أدريه كيف يكون.

ولا يتعجل القارئ فيحسب أني أكبر القديم لأنه قديم، وأمقت الجديد لأنه جديد، فما لهذا محل في نظري ، وليس من فضل أحدنا أن يتقدم به الزمن أو يتأخر. وقد أتردد في قراءة الكتـــاب مضى على موت صاحبه مئات من السنين لأنه يكون جديداً بالقياس إلي، وإن كان قديما من حيث عمره في هذه الدنيا. ومع ذلك هبني كنت أؤثر كل قديم على كل جديد. فماذا إذن؟ من الـــذي يستطيع أن يتجرد من المودات والخصومات وما إلى ذلك، وأن ينصف معاصـــراً لـــه الإنصـــاف الواجب؟ من الذي يسعه أن يكون على يقين جازم من أن الزمن سيؤيد رأيه في معاصره بعد عشرة أعوام أو عشرين أو مائة.؟ كتابك يا معاصري بديع رائع، أعترف بذلك ولا أنكره ولكن أنفـــك الضخم يجعل شكلك مرذولاً أو مضحكاً، فتقل روعة أرائك وحسنها كلما تصورت هذا الأنـــف الذي ركب على وجهك وليس يسعني إلا أن أتصوره وأحضره أمام عيني، وهذا الكاتب الآخـــر، رجل فاضل عظيم المواهب، ولكنه صريح جريء يتقحم على الناس بآرائه فيهم ولا يبـــالي مـــن رضي ممن سخط منهم ، وأنا من الساخطين أو المزاحمين له في ميدانه، فليس يروقني أن أرى كلامه

مطبوعاً. ولا سبيل إلى شيء من هذا وأشباهه حين تتناول كتاباً عليه جلال القدم وبعيداً عن عصرك بكل ما فيه من الجلائل والصغائر.

وكم كتاباً تخرجه المطابع في العام لا بل في الأسبوع أو اليوم؟ ليكن محصول المطابع أو ثمراتها — إن صح هذا التعبير — كثيراً أو قليلاً، فما من شك في أن ما تخرجه في اليوم أكثر مما يسع أشره الناس أن يقرأ في اليوم وما أكثر ما نتلهف ونتحسّر لأن الوقت أضيق من أن يتسع لقراءة ما نود أن نقرأ؟ من منا لا تضطره المشاغل أو العلل أو الملل أو غير هذا وذاك إلى طي كتاب يريد أن يلتهمه، أو إلى الاكتفاء بواحد من مئات ؟ بل من منا لم يخطر له خاطر لم يجد وقتاً لتقييده، ثم كرت الأيام واستسر الخاطر في ظلام النسيان، فكأنه ما مر بالذهن؟

والزمن ماض لا يثقل رجله ولا يتوقف. والمطابع دائرة لا تكف عن إخراج الكتب ولا تبالي أقرأها كل شرائها، أم أهملوها على رفوفهم، وإذا كان الناس اليوم لا يقدرون أن يقرأوا كل ما يكتب فأحرى بهم أن يكونوا في مقبل الأيام أعجز.

فكرت في ذلك حين وردني كتاباً الآنسة (مي) وقبل أن أقرأهما دارت في نفسي هذه الخواطر وأنا أتأمل غلافهما وورقهما، وتمثلت لعيني المطابع، فوثبت بي الخيال إلى جبل أوليمبيا أو طار بي إليه، وتصورت المخلدين من الكتاب والشعراء على قممه وسفوحه وفي مخارمه، وقد غص بهم وشرق بجموعهم الوافدة عليه من كل أمة. فأدركني العطف عليهم والمرثية لحالهم ولما يعانونه من الضيق والكرب. وتراءى لي كأنهم ضاقوا صدراً بهذا الحال فحشدوا أنفسهم مؤتمراً وقام فيهم الخطباء يشرحون آلامهم ومتاعبهم ويفصلون أسبابها. ويصفون العلاج ويطرحون الاقتراحات

وكأني أسمعهم يذكرون من أسباب هذا الزحام الذي لم يعد يطاق، فشو التزييف في مؤهلات الخلود ، وانتشار المطابع والصحف على ظهر الأرض التي لا تزال تتعقبهم مصائبها، ويقولون إن الصحف دأبها أن تقرظ وتمدح وأنها قلّما تعني بالتفلية والنقد، أو تكترث للتمييز بين الجيد والرديء حتى اجترأ الضعفاء وأغتّر الأدعياء ، وزادت الكتب بأنواعها حتى على حاجة الأسواق. وحتى صار كل امرئ بعد موته يأتي إلى الجبل ومعه حمل بعير من شهادات الصحف. فكثر بين الخالدين الواغلون ومن لا يستحقون إلا النار طعاماً لما سودوا من ورق! وأصيب سكان الجبل بغلاء الآكال والأشربات الأولمبية غلاء فاحشاً مزعجاً يهدد بحدوث قحط عام .

ثم بدا لي كأنما أجري الانتخاب لتأليف لجنة تتولى التحقيق ويوكل إليها أن تراجع مؤهلات كل من في الجبل للتثبت والتحقق من أنه أهل للخلود، وإعلان كل ساكن بإبراز أوراق اعتماده والمستندات التي يثبت بها حقه، مخافة أن تكون الأغراض الشخصية قد فعلت وحشرت بين الخالدين من لا يستحقون إلا جحيم (تارتاروس) التي يقذف فيها العاصيين.

×××

ثم أفقت من هذا الحلم ، وابتسمت وتناولت (الصحائف) وأنا أسائل نفسي: ترى غداً كيف يكون حظ كاتبك؟ ليس في مصر من لا يشهد لها بالبراعة، وما من صحيفة إلا وهي تثني عليها، فهل تكفي هذه الشهادات للسكنى على جبل أولمبيا؟ وفتحت الكتاب لعلي أهتدي إلى رأي تسكن إليه نفسي، فقرأت فيه:

(من الكتاب من هو ملخص جلسات ومدون وقائع. ومنهم (كولمب) جاء لاقتحام البحار وركوب الأخطار واكتشاف عوالم مجهولة).

وهذا صحيح. والزمن يؤخر الملخصين والمدونين ويخملهم، ولا يقدم ويضع تاج الخلود إلا على مفارق من يكونون في عالم الأدب ما كان كولمب في عالم الارتياد.

وقد عهدنا الزمن لا يرحم ولا يعرف وسطاً، فإما النبوغ فالخلود، وإما الخمول. والأدباء من كل طبقة عنده أكثر من أني سعهم جميعاً جبل أولمبيا فلا بد من التدقيق في الوزن تـــدقيقاً لا يغل شعيرة، ولا يهمل شعرة، ولا يقام فيه وزن لظروف الحياة وللأحوال المحيطة بالإنسان، وهـــل هي مما يعين على إنضاج القوى الكامنة أم مما يقتلها ويقضي عليها.

و لم أفكر في ذلك من أجل الآنسة مي، بل لأن كتابيها حركا في نفسي هذه الهـــواجس. وأنا أيضاً أكتب وأقرض الشعر، فما مصير كل هذا الذي سودت به الـــورق وشـــغلت المطـــابع وصدعت القراء؟ إنه كله سيفنى ويطوى بلا مراء، فقد قضى الحظ أن يكون عصرنا عصر تمهيـــد، وأن يشتغل أبناؤه بقطع هذه الجبال التي تسد الطريق، وبتسوية الأرض لمن يأتون من بعدهم.ومن الذي يذكر العمال الذين سووا الأرض ومهدوها ورصفوها؟ ومن الذي يعني بالبحث عن أسمـــاء هؤلاء المجاهدين الذين أدموا أيديهم في هذه الجلاميد؟.

وبعد أن تمهد الأرض ، وينتظم الطريق، يأتي نفر من بعدنا ويسيرون إلى آخره، ويقيمـــون على جانبيه القصور شاهقة باذخة. ويذكرون بقصورهم، وننسى نحن الذين أتاحوا لهم أن يرفعوها سامقة رائعة. والذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد؟.

فلندع الخلود إذا ولنسأل : كم شبراً مهدنا من الطريق؟

(من كتاب حصاد الهشيم (القاهرة دار الشعب 1969).

تحليل مقالة الكتب والخلود

أولاً: إلى ماذا تهدف المقالة:

تهدف المقالة إلى إبراز الدور الذي يمكن أن يحققه الكتاب، وتقييم دور الكاتب في عصر ازدهرت فيه حركة النشر والطباعة، ليبين لنا أن الخلود لا يتحقق إلا للرواد النابغين.

وكما يرى القارئ فإن كاتبنا أوضح أن طبيعة الحياة المعاصرة أدت إلى ازدهار حركة النشر، ولذا لم يعد بمقدور المرء متابعة ثمرات المطابع. ولأن الكاتب حريص على متابعة الجيد من الإصدارات الجديدة، فإنه يتهيب قراءة الجديد خشية إضاعة الوقت فيما لا طائل تحته.

"كذلك أراني مع الجديد من الكتب: أخشى التغثية وأخاف إضاعة الوقت فيما لا طائل تحته ولا محصول وراءه، أو فيما هو شر من ذلك. ولو أني لم أكن قرأت شيئاً لما تهيبت جديداً، ولا أشفقت أن يفسد علي لذة قديمة أفدتها ، ولكن إلفي للجيد من براعات الكتاب والشعراء يدفعني إلى الضن بها أن أنغص على نفسي متعتها بهذا الجديد الذي لا أدريه كيف يكون".

ويمكننا إدراك الأفكار الرئيسية التي يتطرق إليها الكاتب من خلال ثنايا مقالته فهو يبرز ثلاثأفكار رئيسية:

1- أن تقييم الكاتب المعاصر تشوبه ظلال الحكم الذاتي والمصالح الشخصية وعدم الموضوعية مما يوهم البعض بأن ما يكتبه سيحقق له الخلود.

(من الذي يستطيع أن يتجرد من المودات والخصومات وما إلى ذلك، وأن ينصف معاصراً له الإنصاف الواجب؟ من الذي يسعه أن يكون على يقين جازم من أن الــزمن ســيؤيد رأيــه في معاصره بعد عشرة أعوام أو عشرين أو مائة؟).

وذلك أدى إلى فشل في تقييم الكتاب وإعطائهم ما يستحقونه من التقييم، إذ أن الصحافة لم تعد تميز بين الجيد والردئ.

"ويصفون العلاج ويطرحون الاقتراحات، وكأني أسمعهم يذكرون من أسباب هذا الزحام الذي لم يعد يطاق، فشو التزييف في مؤهلات الخلود، وانتشار المطابع والصحف على ظهر الأرض التي لا تزال تتعقبهم مصائبها، ويقولون إن الصحف دأبها أن تقرظ وتمدح، وإنها قلما تعني بالتفلية والنقد، أو تكترث للتمييز بين الجيد والرديء، حتى اجترأ الضعفاء وأغترّ الأدعياء، وزادت الكتب بأنواعها حتى على حاجة الأسواق".

2-إن قدم تأليف الكتاب أو جدته ليس سبيلاً للحكم عليه، ويقول المازني:

"ولا يتعجل القارئ فيحسب أني أكبر القديم لأنه قديم، وأمقت الجديد لأنه جديد، فما لهذا محل في نظري، وليس من فضل أحدنا أن يتقدم به الزمن أو يتأخر".

3- إن خلود الكتاب يتحقق بالنبوغ والريادة كما فعل كولمب الذي اكتشــف العــوالم المجهولة والنبوغ والريادة يحققان الخلود، بينما الزمن يؤخر الملخصين والمدونين ويخملهم.

" من الكتاب من هو ملخص جلسات ومدون وقائع، ومنهم (كولمب) جاء لاقتحام البحار وركوب الأخطار واكتشاف عوالم مجهولة".

4- وبين هذين النوعين الكتاب النابغون الرواد والكتاب المدونون يرى أن هناك نوعاً ثالثاً من الذين يمهدون الطريق أمام الكتاب الذين يحققون الخلود.

"وبعد أن تمهد الأرض، وينتظم الطريق، يأتي نفر من بعدنا ويسيرون إلى آخره، ويقيمـــون على جانبيه القصور شاهقة باذخة، ويذكرون بقصورهم ، وننسى نحن الذين أتاحوا لهم أن يرفعوها سامقة رائعة، والذين شغلوا بالتمهيد عن التشهيد ؟. فلندع الخلود إذا ولنسأل : كم شبراً مهـــدنا من الطريق؟.

طبيعة المقالة وأسلوبها:

يختلط أسلوب الكاتب في مقالته هذه، فهي مقالة أدبية وتفسيرية، ويختلط فيها الجانـــب الذاتي بالموضوعي، وقد بدأ الكاتب مقدمته بمثال توضيحي حول تهيب المرء من تناول طعام جديد يقود إلى جزئية من موضوع مقالته، فارتبطت المقدمة بفكرة الجدة بينما كان محور المقالة يقودنـــا إلى فكرة الخلود وهكذا استغرقت فكرة الجدة والقدم ما يقارب من نصف المقالة.

وتبتدئ ملامح الفكرة الأساسية في التبلور في الجزء الثاني من المقالة ليصل في خاتمتـــها إلى النتيجة التالية وهي: أن ما نقرأه من الكتابات إنما هو تمهيد السبيل أمام بروز الأدب الخالد.

ويمكننا تقسيم المقالة إلى ثلاثة أقسام:

1- القسم الأول: ويستغرق نصف المقالة، طرح فيه مسألة الجدة والقدم.

2- القسم الثاني: وقد اعتمد فيه على الخيال ليلتقي بالخالدين في جبل أولمبيـــاد،و جعلـــه يضيق مع انتشار المطابع والصحف.

3- القسم الثالث: يطرح فيه مسألة الخلود التي أساسها الريادة والنبوغ.

وكان الكاتب منطقياً في التعبير عن فكرته الأساسية التي تدور حول خلود الكُتاب.فمنـــذ البداية وتنمو الفكرة التي أراد توصيلها في مواجهة ما هو جديد بما هو خالد ... وكأنه أراد القول: أي مصير سيلقاه الجديد؟ هل سيكون خالداً؟ أم سيكون مصيره النسيان؟.

اعتمد الكاتب في أسلوبه على استخدام الجمل الطويلة، والجمل الاستفهامية ونراه يبتدئ مقالته باستفهام إذ يقول:

(ماذا يصنع أحدنا إذا قدمت له صحفة فيها طعام هذا أول عهده به؟) ويبتدئ القســـم الثاني من المقالة متسائلاً:

(وكم كتاباً تخرجه المطابع في العام لا بل في الأسبوع أو اليوم؟) وبعد أن يقدم عرضـــه لأفكاره نراه يختتم مقالته بالتساؤل:

(فلندع الخلود إذاً ولنسأل : كم شبراً مهدنا من الطريق؟.

إن استخدام الأسلوب الاستفهامي يتيح فرصة للتواصل بين الكاتب وقارئه فهـــو دعـــوة عملية للمشاركة والبحث عن الأجوبة.

امتازت هذه المقالة بوضوح الفكرة الأساسية لها وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام جعلت منـــها وحدات متكاملة إلا أنه يؤخذ عليها أن القسم الأول وهو المقدمة قد استهلك ما يقرب من ثلـــث

المقالة وكان في الإمكان اختصارها بحيث تتاح الفرصة للتعبير عن فكرة الخلود بما تستحقه هـــذه الفكرة من عرض وتحليل.

(2) لكل مقام مقال لـ شكيب أرسلان

بينما أنا أسرح الطرف في صحيفة الأدب من (السياسة) الغراء إذ وقع نظري على مقالـــة لأحد أدباء فلسطين عوانها" تطور اللغة في ألفاظها وأساليبها" وهو موضوع طالمـــا نـــازعني إليـــه خاطري، و شعرت بافتقار الأدب العربي إلى بحث واف بمكانه، إذ كان كل دور من أدوار اللغـــة العربية سواء كان دور الجاهلية والمخضرمين أو العهد الأموي أو العصر العباسي أو القرون الـــتي بعده لا يخلو من ديباجة خاصة تظهر على ألسن خطباء ذلك الدور وأقلام كتابه، وإن كان النصاب الأصلي للغة لايزال واحداً ... ولم ينحصر اختلاف الأسلوب وتداول طائفة خاصة مـــن الألفـــاظ بالأدوار والإعصار، بل أنك لتجده بين الأقاليم والأمصار، فللأندلس منـــزع يعرفه مـــن ألـــف مطالعة كتب ذلك القطر، ولليمن مذهب لا يشبه مذهب المنشئين في العربية من فارس في كثير من الأمور، ولمصر لهجة خاصة يعرف الناقد البصير منها نسبة مؤلف الكتاب ولو لم يكن اسمه عليـــه كما ترى ذلك من ألف ليلة وليلة، وللشام أسلوب يختلف شيئاً عن أسلوب أهل مصر في الكتابة، وكثيراً في الحديث، كما أن للعراق نمطاً غير نمط الشام ومصر وهلم جرا. ولعلنا نلم بهذا الموضوع في وقت آخر. ولقد أنعمت النظر في مقال (تطور اللغة في ألفاظها وأساليبها) فوجدت الكاتب الأديب صاحبها أتى بشيء منه وأصاب بعض شواكله، ولكنه خرج فيه أحياناً عما هو من بـــاب تطور اللغة باختلاف الأعصر والأمصار إلى ما ليس منه كتمثيله لهذا التطور بقوله: إن الســـوريين

كانوا يجمعون لفظة ميل بمعنى الهوى على أميال كسيف وأسياف، وقد شاع هذا الجمع في مصـــر وسورية دهراً طويلاً، ثم رأينا أن المصريين أخذوا يجمعونه على ميول كسيف وســـيوف، وكـــلا الجمعين صحيح، ولعل السوريين يعدلونه مع الأيام عن أميال أي ميول بحكم التقليد.

والحقيقة أن ليس هذا العدول عن أميال إلى ميول أثراً من آثار التطور الذي أراده بل كانت العامة ومن لا يحقق في اللغة من الخاصة، يجمعون ميلاً بفتح الميم على أميال، يجرونها مجـــرى ميـــل بكسر الميم، فجاء من قال لهم أن فعلاً بفتح الفاء لا يجمع على أفعال بل على فعول، وإن كان ورد شيء من ذلك فمن الذي لا يقاس عليه، فعدل عند ذلك الكتاب عن جمع ميل بالفتح على أميال إلى جمعه على ميول نظير بيع وبيوع، وقد سبق أنهم كانوا يجمعون خصماً على أخصام، وقد رأيت هذا الجمع في كلام كاتب مصري من الأدباء الراسخين الذين نبغوا منذ نصف قرن فلمـــا نبـــه بعضهم إلى أن جمع خصم على أخصام غلط عدلوا إلى جمعه الصحيح على خصوم فلن نجد كاتباً الآن إلا وهو يقول خصوم ويتجنب أخصام، ثم أنه قد ورد في كلام اليازجي الكبير جمع فعل بفتح الفاء على أفعال وذلك في قوله (مضى يجمع الأفضال وهي عبيده) فعابوه فيه وذكر ذلك أحمـــد فارس في مناقشة مع ابنه، فلذلك لا يجمع فضلاً على أفضال اليوم إلا العامـــة يقولـــون لا ننكـــر أفضالك، فأنت ترى أن السبب في ذلك التطور هو متابعة القاعدة واعتقاد تنكب الخطأ، على أن الخطب يسير فإن فعلاً بفتح الفاء إذا كان من الأجوف كثيراً ما يجمع على أفعال ولـــه أمثـــال لا تحصى.

وكذلك بدهي وطبعي، أخذ المصريون يستعملونها ذهاباً إلى أن بديهي وطبيعي هو غلـــط في النسبة،(مع أن السوريين يرونه غلطاً مشهوراً هو أولى من الصواب المهجور، ويرون لـــه في (

ولكن سليقي أقول فأعرب) شاهداً مؤنساً. فالعدول عن أميال إلى ميول وعن طبيعي إلى طبعي كان في اعتقاد من فعله مجرد إتباع للقاعدة لا مجرد عدول عن اصطلاح إلى آخر إذ كلاهما صحيح. ثم وصل الكاتب إلى قوله(هذا في اللغة وأما في الأساليب فهناك مذهبان، مذهب قديم أو مذهب جديد، وأني أحاول هنا أن أشي إلى الفرق بين المذهبين على قدر ما تعين عليه البصيرة الضعيفة مما أولع به أصحاب المذهب القديم إلى يومنا هذا تكرار الكلام في غير مواطن التكرار (اعتراف منه هنا بأن للتكرار مواطن) والإسراف في استعمال المترادفات على غير حاجة إليها ولا فائدة منه. فهم لا يأتون بكلمة إلا اتبعوها بمرادفاتها فإذا قالوا تمادى الرجل في ضلاله قالوا ولج في غوايته وعمه في طغيانه ومضى على غلوائه. وإذا قالوا أحزنني هذا الأمر قالوا وشجاني وأرمضني وأقلقني وأقض مضجعي. إلى أن يقول بل استأذن القارئ الكريم في تقديم مثل على ذلك من رسالة أمامي لكاتب كبير قال: يا أخواننا إن الصارخة القومية والنعرة الجنسية قد بدأت مع الأقوام ونشأت مع الأمم مذ الكيان ومنذ وجد الاجتماع البشري وتساكن الإنسان مع الإنسان) وقال (مهما انتبذ لنفسه مكاناً منزوياً وتنحى جانباً معتزلاً) وقال: (مهما ترامت به عن منبته الأقطار وتباينت بينه وبين أهله الأوطان و الأوطار الخ..) ثم قفيّ على ذلك صاحب المقالة بقوله: (تأمل، وسبب ذلك إما قلة البضاعة و نزارة المادة الفكرية (كذا ولعله سها عن وضع (إما) في الجملة الثانية سهواً (إما) هذه لا بد من تكرارها عند التخيير كما لا يخفى) وأصحاب هذا المذهب يحسبون أن اللغة هي كل شيء فإذا حمل أحدهم على ظهر قلبه مقامات الحريري وديوان الحماسة والمعلقات والمفضليات فقد صار كاتباً نحريراً، أو يكون ذلك متابعة لما ورد في بعض أقوال العرب من التكرار لضرورة كقول الشاعر: (فالتي قولها كذباً وميناً) أو تقليداً لأحمد فارس الشدياق في كتابه(الساق على

الساق) ولكن أحمد فارس لم يأت بالمترادفات لأنه يذهب إلى هذا النوع من الكتابة ، وإنما أراد أن يضع كتاباً في المترادفات ككتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني إلى أن قال: (ومهما يكن السبب فإن هذا النوع من الكتابة غير طبيعي أو غير عربي (كذا) أو على الأقل لا يستمرئه ذوق هذا العصر ثم قال (وأنت إذا تفقدت كلام العرب في أشعارهم وأمثالهم وخطبهم ورسائلهم علمت أنهم يميلون إلى الإيجاز وأنهم يكرهون التطويل الممل) ثم عاد فاستدرك بقوله: (إن للإطناب مواطن وشروطاً نص عليها البيانيون وليس في ما نصوا عليه ما يجيز أن يكيل الكاتب المترادفات كيلاً الخ).

فظاهر أن هذا الكاتب الأديب يقصدني في تعريضه، لاستشهاده ببعض جمل من نداء كان الوفد السوري وجهه إلى الأمة العربية قاصيها ودانيها وحاضرها وباديها وخاصيها وعاميها، مراعياً حالة من يخاطبهم وضرورة تمكين المعاني من نفوسهم وتحريك عواطف حميتهم مما هو في كل لغة وفي كل منطق وفي كل أدب موطن التكرار الأكبر ومحل التأكيد الإلزام، إذ كانت المناشير العامة والرسائل الموجهة إلى الجماهير دائماً على هذا النسق ولم تكن قاعدة (خير الكلام ما قل ودل) موضوعه لمثلها. إلا إذا اختلت قاعدة أخرى هي أعم منها وهي (لكل مقام مقال) ، والفصاحة هي المطابقة لمقتضى الحال.

وقد كنت فكرت في أن أترك هذا الكاتب وشأنه وأن أعرض عنه وأتجاهل انتقاده تاركاً اللغة العربية ونظمها ونثرها ومتونها وأصولها وأمثلتها ترد عليه وتقنعه بخطئه، لولا أنني رأيته وأرجو منه أن لا يؤاخذني على هذا القول، واضعاً نفسه موضع أستاذ اللغة، وشيخ الصناعة، والجهبذ الذي يقبل هذا ويزيف ذاك، والقاضي الفيصل الذي يحكم ولا معقب لحكمه، ماضياً في

غلوائه مسروراً بآرائه راضياً عن أبحاثه فحرصت على أن لا يتمادى في وهمه، وأشفقت من أيتصل وهمه إلى غيره، وعولت على أن أبين له مناهج اللغة في باب الإيجاز والمساواة والإطناب ومقام كل منها ليعلم أن مقام منشورنا المرسل إلى الأمة العربية جمعاء في آفاق الأرض ومناكبـــها ومشــــارق الشمس ومغربها هو مقام إطناب كما لا يخفى على كل من شدا شيئاً من الأدب أو طالع شيئاً من آثار هذه الأمة.

ولكني قبل الشروع في موضوعي أحب أن أساله عن قوله(وأما الأساليب فهناك مـــذهبان مذهب قديم ومذهب جديد) فإني لا أعلم مذاهب جديدة إلا في العلم والفن، وأما في الأدب فـــلا أعرف إلا مذهباً واحداً هو مذهب العرب، وهو الذي يريد أن يسميه بالمذهب القديم، وهو الذي يجتهد كل كاتب في العربية أن يحتذي مثاله ويقرب منه ما استطاع، لأنه هو المثل الأعلى والغايـــة القصوى، وإذا أراد الكاتب العصري أن يجول في المواضيع الحديثة والمعاني المستجدة، استنفد جميع متنه في إلباس هذه المعاني الجديدة حلل الأساليب العربية القديمة التي هي أصـــل اللغـــة والطـــراز المنسوج على منواله، وقصارى الأديب العربي اليوم أن يتمكن من إفراغ الموضوع العصـــري في قالب عربي بحت لا يخرج باللغة عن أسلوبها ولا يهجن لهجتها ولا يجعلها لغة ثانية، إذ كان التباعد عن الفصاحة والحرمان من حظها هما على مقدار التجانف عن أسلوب العرب عندما كانوا عرباً لم تخامر لغتهم العجمة و لم تفسد منهم السليقة. وإن القمة العليا من ذلك هي لغة الجاهلية وصــــدر الإسلام ثم ما يليه نوعاً عندما كانت العربية في عنجهيتها والفصاحة في إبان سورتها. فأما المذهب الجديد الذي أشار إليه في الأدب والإنشاء العربي فلا نعلمه في المذاهب ولا وصل إلينا خبره. فحبذا لو أتانا صاحبنا بتعريف المذهب الجديد هذا ودلنا على أمثلة منه وكتب مؤلفه فيه، وأخبرنا من هم

أساطين هذا المذهب وحملة أعلامه. فإننا نقر بكوننا لا نعرف في العربية إلا مذهباً واحداً كلما قرب إلى نسق الأولين كان أقرب إلى الفصاحة. وأما في العلوم والفنون فذاك موضوع آخر كل يوم نحن منها في شيء جديد، فلا يجوز أن نخلط هذا بذلك.

إن اللغة الفرنساوية التي هي أفصح لغات أوروبا لها أسلوب خاص ونمط قائم بها قد رست عليه قواعدها منذ نحو ثلاث مئة سنة. وبلغ كماله في عصر لويس الرابع عشر، فكـــل كاتـــب في اللغة الفرنسوية يخالف أسلوبها الذي اصطلح عليه أدباء الفرنسيس يقولـــون لـــه: هـــذا لـــيس بفرنساوي. ولا ينفعه عند ذلك أن يقول لهم: هذا مذهب جديد في الكتابة، فـــإنهم يجاوبونـــه إن التجدد في الكتابة لا بد لأجل أن يكون مقبولاً أن يتمشى على الأسلوب الفرنســـاوي المصـــطلح عليه.

إنني أريد أن أنزه حضرة الكاتب صاحب مقالة التطور في اللغة عن أن يكـــون مقصـــده الانتقاد لأجل الانتقاد، ولإثبات فضله وإظهار طوله على غيره ولكنني من جهة أخرى أعجب من كون أديب بارع مثله متصد للفتيا في اللغة تصدي حضرته يذهب عنه ما يليق بكل أديب أن يطلع عليه.

قال في صبح الأعشى في باب الإطناب: وهو الإشباع في القول وترديد الألفاظ المترادفـــة على المعنى الواحد، وقد وقع منه الكثير في الكتاب العزيز مثل قوله تعالى " كلا سوف تعلمـــون ثم كلا سوف تعلمون" وقوله عز وجل " فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسرا" كـــرر اللفظـــين

الموضوعين تأكيداً للأمر وإعلاماً أنه كذلك لا محالة (تأمل) إلى أن يقول: وقد وقع التكرار للتأكيد في كلام العرب كثيراً كما في قول الشاعر أتاك أتاك اللاحقون.

ثم ذكر ما قيل في المساواة والإيجاز والإطناب والتفاضل بينها، فقال وذهب قوم إلى أن الإطناب أرجح واحتجوا لذلك بأن المنطق إنما هو بيان والبيان لا يحصل إلا بإيضاح العبارة، وإيضاح العبارة لا يتهيأ إلا بمرادفة الألفاظ على المعنى حتى تحيط به إحاطة يؤمن معها من اللبس والإبهام، وإن الكلام الوجيز لا يؤمن وقوع الإشكال فيه، ومن ثم لم يحصل على معانيه الا خواص أهل اللغة العارفين بدلالات الألفاظ. (ليتذكر القارئ أن منشور الوفد السوري لم يكن موجهاً إلى خواص أهل اللغة فقط بل العوام من قرائه أكثر من الخواص) بخلاف الكلام المشبع الشافي فإنه سالم من الالتباس لتساوي الخاص والعام في جهته. ويؤيد ذلك ما حكي أنه قيل لقيس بن خارجه: ما عندك في جمالات ذات حسن. قال : عندي قرى كل نازل ورضا كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب آمر فيها بالتواصل وأنهى عن التقاطع. فقيل لأبي يعقوب الجرمي: هلا اكتفى بقوله أمر فيها بالتواصل عن قوله وأنهي عن التقاطع فقال: أوما علمت أن الكناية والتعريض لا تعمل عمل الإطناب والتكشف. ألا ترى أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأحزاب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً وقلما تجد قصة لبني إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم بخلاف الكلام المشبع الشافي فإنه سالم من الالتباس لتساوي الخاص والعام في فهمه).

قال: وذهبت فرقة إلى ترجيح مساواة اللفظ و المعني واحتجوا لذلك بأن منـــزع الفضيلة من الوسط دون الأطراف وإنما الحسن يوجد في الشيء المعتدل) قال: قال في (مواد البيان) والذي يوجبه النظر الصحيح أن الإيجاز والإطناب والمساواة صفات موجودة في الكلام ولكل منها موضع لا يخلفه فيه رديفه إذا وضع فيه انتظم في سلك البلاغة ودل على فضل الواضع وإذا وضع غيره دل على نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة.

ومنه يستنتج أن منشوراً طبعت منه ألوف وألوف من النسخ ليوزع على ملايين من الأمة العربية في المدر والوبر لو جاء يكتبه الإنسان كما يكتب رسالة إلى رجل من طبقة عبـــد القـــاهر الجرجاني ويجتهد في إيداع أوسع المعاني أقصر الألفاظ لكان ذلك من باب وضع الشـــيء في غـــير موضعه ولدل على نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة.

ثم قال في صبح الأعشى: (فأما الكلام الموجز فإنه يصلح لمخاطبة الملوك وذوي الأخطـــار العالية والهمم المستقيمة والشؤون السنية ومن لا يجوز أن يشغل زمانه بما همته مصروفة إلى مطالعـــة غيره).

إذن ليست هناك مسألة تطويل ممل وإيجاز مخل بل مسألة الإيجاز في محل الإيجاز، والإطناب في محل الإطناب، فإذا خوطب الحكماء والعظماء والملوك بالكلام المشبع المبسوط المؤكد كان ذلك خللاً بأصول الكتابة ومنافياً للذوق السليم. كما أنه إذا خوطب الجماهير الذين لا تجد فيهم خاصياً إلا كان بجانبه ألف عامي، بدقائق من البلاغة وإشارات وكنايات تقتضي إعمال الفكر، ولا يدرك

الجمهور مغزاها، كان ذلك مخالفاً لآداب الكتابة وفات الغرض المقصود من الخطاب. نعـــم كـــان العرب يميلون إلى الإيجاز ولكن كانوا يميلون أكثر من ذلك إلى وضع الشيء في محله.

قال في صبح الأعشى: (وأما الإطناب فإنه يصلح للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ممـــا يقرأ في المحافل والعهود السلطانية ومخاطبة من لا يصل المعنى إلى فهمه بأدنى إشارة الخ...).

إلى أن قال نقلاً عن (مواد البيان) قال: أما لو استعمل كاتب ترديد الألفاظ ومرادفاتهـــا على المعنى في المكاتبة إلى ملك مصروف الهمة إلى أمور كثيرة متى انصرف منها إلى غيرها دخلـــها الخلل لرتب كلامه في غير رتبه، ودل على جهله بالصناعة. وكذا لو بني على الإيجاز كتاباً يكتبه في فتح جليل الخطر حسن الأثر يقرأ في المحافل والمساجد الجامعة على رؤوس الأشهاد من العامة، ومن يراد منه تفخيم شأن السلطان في نفسه لأوقع كلامه في غير موقعه ونزله في غير منزله. لأنه لا أقبح ولا أسمج من أن يستنفر الناس لسماع كتاب قد ورد من السلطان في بعض عظائم أمور المملكة أو الدين فإذا حضر الناس كان الذي يمر على أسماعهم من الألفاظ وارداً مورد الإيجاز والاختصـــار لم يحسن موقعه وخرج من وضع البلاغة الخ...).

ولا أظن منتقدنا يقول إنما هذا ينطبق على الكتب الـــواردة مـــن الســـلطان في أخبـــار الفتوحات، ومنشوركم هذا ليس عن السلطان ولا هو في فتح فالجواب عند ذلك أن المنشور الذي يوجه إلى أمة كبيرة من وفد من وفودها في الاستنفار إلى تلافي خطب أو سد خرق أو مقصد من تلك المقاصد العالية التي تتعلق بها حياة تلك الأمة هو أيضاً في حكم كتب الفتوحات وأجدر منـــها بمراعاة أصول المناشير العامة.

ولقد ورد في رسائل أبي إسحق الصابئ الذي كان رئيس كتاب ديوان الخلافة في بغـــداد كثيرا من الكتب التي تتشابه في المعنى أسجاعها وتتوالى مترادفاتها، وقد أوضحت يومئذ في حاشية تلك الرسائل التي طبعتها أن هذا المذهب هو خلاف قاعدة الإيجاز ولكنه مما يستحب في خطـــاب الأمة ونداء الجمهور ممن لا بد للكاتب أن يعيد المعنى عليهم ويصقله مراراً حتى يتشـــربوا معنـــاه ويشتقوا مغزاه.

بقي علينا أن نأتي بشواهد على مذهب فصحاء العرب في استعمال المترادف وإبراز المعنى الواحد بصور مختلفة. وهذا هو أكثر من أن تحيط به المجلدات. وما على المكابر فيـــه إلا أن يقـــرأ خطب العرب ونخب رسائلهم وغرر أقوالهم ويتصفح كتابات فحول البلاغـــة مثـــل الجـــاحظ والزمخشري وبديع الزمان والخوارزمي والصاحب بن عباد وابن العميـــد وأبي إســـحاق الصـــابئ والقاضي الفاضل وابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب وغرهم فيجد في كل صفحة من صفحات كبتهم شيئاً يحقق له كون هذا المذهب مذهبهم عندما يقتضيه المقام ولكن لما كان المثل الحاضر أوقع في النفس، توخينا أن نأتي بشيء من الأمثال مما حضرنا على طريق المصادفة فنقول:

قال أبو الهلال العسكري في (الصناعتين) وهو من أساتذة الصناعة: فإن صاحب العربية إذا أخل بطلب هذه العلوم وفرط في التماسها فأتته فضيلتها وعلقت به رذيلة فوتها وعفـــى علـــى جميع محاسنه وعمى سائر فضائله.

تحليل لكل مقام مقال لــشكيب أرسلان

تمثل مقالة لكل مقام مقال لشكيب أرسلان مثالاً للمناظرات والحوارات الأدبيــة الــتي انتشرت في الحياة الأدبية العربية في مطلع هذا القرن، وهذه المقالة هي رد على المقالة الموســومة (تطور اللغة في ألفاظها وأساليبها). للأديب خليل السكاكيني وفي مقالته الــتي لا تتجــاوز ســت صفحات يقوم السكاكيني بتوضيح وجهة نظره حول أسلوب اللغة العربية في عهده الــذي كــان يعتمده بعض الكتاب ومن بينهم شكيب أرسلان، ويمكن تلخــيص الفكــرة الأساســية لمقالــة السكاكيني بما يلي:

(إن اللغة تتطور في ألفاظها وأساليبها لعدة عوامل منها: اختلاف الأقاليم من حيــث المناخ واختلاف المجاورات والحالات الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية مما يؤدي إلى انقسام اللغة إلى لهجات مستقلة ولذا نجد في الأقاليم العربية لغة محكية ولغة مكتوبة، ويؤدي التطور عــبر الزمان إلى اختلاف اللغة في الإقليم ذاته.

وكذا فإن، أساليب اللغة تختلف باختلاف الأعصر، إذ هناك المذهب القديم الذي يميل إلى التكرار والإسراف في استعمال المترادفات على غير حاجة وضرب مثالاً على ذلك بنموذج لشكيب أرسلان.

وهناك المذهب الجديد الذي يعتمد الإيجاز مما يتناسب مع العصر وهو عصــر الســرعة والاقتصاد والذي فيه يجب أن يسود فيه المعنى على اللفظ).

وقام شكيب أرسلان بالرد على مقالة السكاكيني، في المقالة السابقة المعنونة بـــ (الكــل مقام مقالة).

ويمكننا تقسيم مقالة شكيب أرسلان إلى ثلاثة أقسام:

1- المقدمة: وكانت مدخلاً فيه إشارة إلى المقالة موضوع الانتقاد ودخل مع المقدمـة مباشرة إلى مناقشة رأي السكاكيني في تطور ألفاظ اللغة.

2- مناقشة رأي السكاكيني في تطور أساليب العربية وانتقـاده لأسـلوب أرسـلان في الإطناب، ودفاع أرسلان عن أسلوبه باستشهادات طويلة.

3- الخاتمة وكانت أسطراً قليلة لا تفي بغرض المقالة إذ كانت مجرد امتداد عن إطنابه في عرض رأيه وتعزيزه بالأمثلة.

وقد وسم شكيب أرسلان مقالته بعنوان: (لكل مقام مقال) وهذا العنوان في حـد ذاتـه تلخيص للفكرة التي أراد أن يعبر فيها عن رأيه ونقضه لرأي السكاكيني ، وفي حقيقة الأمـر أن شكيب أرسلان قد رد على مقالة السكاكيني المختصرة بمقالة مسهبة فيها الشـيء الكـثير مـن الإطناب. وهو يعترف بذلك إذ يختم مقالته معتذراً عن هذا الإطناب بقوله(وأرجو مـن الأسـتاذ المنتقد ألا يؤاخذني على الإطناب لأنه ضروري لإيجاد صورة تامة في الذهن، ولإقناع مـن كـان مكتفياً برأيه) ومقالته تلك تمتد عبر اثنتي وعشرين صفحة أوردنا قسماً منها وحجم هذا المقال الذي يرد كاتبه فيه على مقالة من ست صفحات يؤكد نزعة الكاتب إلى التكرار والتطويل.

يبتدئ أرسلان مقالته بالإشارة إلى مقالة السكاكيني التي أثارت لديه الرغبة في الكتابة في موضوع اختلاف أسلوب اللغة وألفاظها باختلاف الأدوار والإعصار والأقطار، و هو إذ يشاطر السكاكيني رأيه هذا إلا أنه ينتقده من حيث الشواهد التي أتى بها، كمثل على تطور استخدام ألفاظ اللغة ويرد أرسلان أن استخدام تلك الأمثلة التي أشار إليها يعود إلى متابعة القاعدة واعتقاد تنكب الخطأ.

ثم ينتقل إلى مناقشة الأسلوب ويرد في صفحات طويلة على رأي السكاكيني الذي طالبه بالاقتصاد والابتعاد عن استخدام المترادفات والإطناب كي يتمشى الكاتب مع روح العصر. ويرد شكيب أرسلان بأن المثال الذي اقتبسه السكاكيني من كتابة أرسلان كان نداء موجهاً إلى الأمة (قاصيها ودانيها وحاضرها وباديها وخاصيها وعاميها،مراعياً حالة من يخاطبهم وضرورة تمكين المعاني من نفوسهم وتحريك عواطف حميتهم مما هو في كل لغة وفي كل منطق وفي كل أدب موطن التكرار الأكبر ومحل التأكيد الإلزام. إذ كانت المناشير العامة والرسائل الموجهة إلى الجماهير دائماً على هذا النسق، و لم تكن قاعدة (خير الكلام ما قل ودل) موضوعه لمثلها إلا إذا اختلت قاعدة أخرى هي أعم منها وهي لكل مقام مقال، والفصاحة هي المطابقة لمقتضى الحال).

ويسير شكيب أرسلان في مناقشة السكاكيني باستعراضه (مناهج اللغة في باب الإيجاز والمساواة والإطناب ومقام كل منها لنعلم أن مقام منشورنا المرسل إلى الأمة العربية جمعاء في آفاق الأرض ومناكبها ومشارق الشمس ومغاربها هو مقام إطناب كما لا يخفى على كل من شدا شيئاً من الأدب أو طالع شيئاً من آثاره هذه الأمة).

ويورد ما جاء في صبح الأعشى في باب الإطناب والمساواة والإيجاز ويخلص إلى أنه (ليست هناك مسألة تطويل ممل وإيجاز مخل بل مسألة الإيجاز في محل الإيجاز والإطناب في محل الإطناب).

وأورد أمثلة كثيرة على استعمال المترادف وإبراز المعنى الواحد بصور مختلفة من أقوال عثمان بن عفان وزياد بن أبيه وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وغيرهم، وقد أطال في الاستشهاد على مثل هذا الضرب من الأساليب ليؤكد لنا:

(فليعلم أن الاقتصاد في غير موضعه هو تبذير وتفريط وهو أشبه باقتصاد من يهمل استدعاء الطبيب وشراء العلاج حباً في التوفير فتطول علته ويتعطل عمله ويخسر أضعاف ما وفر. وكذلك لغة التلغرافات لتبق إلى الأبد لغة تلغرافات لا تصلح لتفصيل مجمل؟؟؟ ولا للإحاطة بموضوع ولا لشفاء غليل من مبحث). ولا شك أن وجهة نظر شكيب أرسلان بأن القاعدة العامة للبلاغة هي لكل مقام مقال صحيحة، وتكون قاعدة خير الكلام ما قل ودل هي قاعدة فرعية تشتق منها وتستند إلى القاعدة العامة التي تعني أن مستويات الأساليب يجب أن تكون ملائمة للمقامات المختلفة.

فنحن نتوقع أن تكون هناك ثلاث مستويات من الأساليب.

1- أسلوب الاختصار.

2- أسلوب الاعتدال (المساواة).

3- أسلوب الإطناب.

ولا شك أن لكل أسلوب مقام في الاستخدام ، وإذا كان شكيب أرسلان قد مـــال إلى الإطناب واستخدام المترادفات فإن هذا الأسلوب قد يكون ملائما في لغة مخاطبة العامـــة، الـــذين يحتاجون إلى التبسيط والإفاضة في الشرح ولكن مقالته هذه لم تكن تستدعي هذا الإطناب والتكرار في الفكرة، لأن مقالته موجهه إلى الخاصة لا العامة، وليس هدفها تعليمياً ولا يجدي اعتذاره عـــن إطنابه في نهاية المقال، لأن هذا الإطناب لم يكن ضرورياً (لإيجاد صورة تامة في الذهن ولإقناع من كان مكتفياً برأيه).

ولا شك أن مناقشة شكيب أرسلان فيما يتعلق بتطور ألفاظ اللغة كانت مناقشة موفقة إذ أبرز أن الأمثلة التي جاء بها السكاكيني لا مجرد عدول عن اصطلاح إلى أخر إذ كلاهما صحيح كما يقول أرسلان وكان مناقشة هذا الجانب مختصراً إذا أنها لم يتعدّ صفحتين. بينما قـــام أرســـلان .بمناقشة جانب تطور الأساليب بإسهاب كثير.

مراجع الإطار النظري

1. د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ط 4 (بيروت دار الثقافة د.ت)

2. احمد أمين: مقالة(كتابة المقالات) في كتاب فيض الخاطر، ط 3 ، (القاهرة مكتبة النهضة العربية 1953)

3. عباس محمود العقاد: مقالة (أدب المقالة) في كتاب: يسألونك.

4. زكي نجيب محمود: (مقالة أدب المقالة) في كتاب جنة العبيط، ط2 (القاهرة بيروت: دار الشروق 1982) ص7 - 15.

5.د. عبد الكريم الأشتر : تعريف بالنثر العربي الحديث، (دمشق، جامعة دمشق 1990-1991).

6.علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

7. د. شوقي ضيف: (فنون مستحدثة : المقالة القصة المسرحية) في كتاب الأدب العربي المعاصر في مصر، ط6 (القاهرة : دار المعارف بمصر

8. دومينيك سبيي فور (المقالة) ترجمة طاهر حجار في كتاب: الأدب والأنواع الأدبية. (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر 1985).

9. توماس بيري: الصحافة اليوم، ترجمة، مروان الجابري، (بيروت ـــ مؤسسة أبدران للطباعة والنشر 1964).

10. د. فاروق أبو زيد: فن الكتابة الصحفية، (القـــاهرة : دار المـــأمون للطباعـــة والنشـــر 1981).

11. د. محمود فهمي: الفن الصحفي في العالم (القاهرة: دار المعارف بمصر 1964).

12. د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية، ج1 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1964.

13. محمد أدهم: المقال الصحفي (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية د. ت).

14. د. محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية: نشأتها تطورها أعلامها (الجزائـــر: الشـــركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978).

15. S. Leonard Rubninstein& Robert G. Weaver : The Plain Rhtoric (Bostion, Massachusetts , Allyn& Bacon, Inc 1964)